

روايات مصرية للجيب

9

الفصيلة

سافاري

www.dvd4arab.com
Hany3H

مقدمة

(سافارى) مصطلح غربى تم تحريفه عن كلمة
(سافريّة) العربية .. وحين يتحدثون عن الـ (سافارى)
فهم يتحدثون عن رحلات صيد الوحوش فى أدغال
(إفريقيا) ..

لكن وحدة (سافارى) التى سنقابلها هنا كانت
تصطاد المرض فى القارة السوداء .. ووسط اضطرابات
سياسية لا تنتهى .. وبيئة معادية .. وأهال متشككين ..
بطلنا الذى سنقابله دوماً ، ونألفه ، ونتعلم أن
نحبه هو د. (علاء عبد العظيم) .. شاب مصرى
ككل الشباب .. اختار أن يبحث عن ذاته بعيداً وسط
أدغال (الكامبيرون) ، وفى بيئة غريبة وأمراض
أغرب وأخطار لا تنتهى فى كل دقيقة ..

وفى هذه الروايات نقرأ مذكرات د. (علاء) ..
نعيش معه ذلك العالم العجيب الذى لم تنجح الحضارة
فى تبديل معالمه ..

سنلقى الكثير من الفيروسات القاتلة .. والسحرة
المجائنين .. وأكلة لحوم البشر .. والمرتزقة الذين
لا يمزحون .. وسارقي الأعضاء البشرية .. والعلماء
المخابيل ..

سنلقى كل هذا .. ونلقى محاولات طبيينا الشاب كي
يظل حيًا .. وكى يستطيع فى الوقت ذاته أن يظل
طبيبًا ..

تعالوا نلحق بوحدة (سافارى) فى (الكاميرون) ..
تعالوا ندخل الأدغال ونجوب (السافانا) وننسلق
البراكين ..

تعالوا نواجه المرض مع فريق (سافارى) ..

★ ★ ★

أَوَّلُ الْفُصُولِ

ويحكى عن زيادة مربية

للمرضى الأوروبيين

فى (سافارى)

www.dvd4arab.com

Hany3H

www.dvd4arab.com

١٨ أكتوبر عام ١٩٩٧

الساعة العاشرة صباحاً

(سافارى) من جديد ..

الآلة العملاقة التى لا تكف عن الهدير ، والتى يدفع العالم ثمن وقودها وزيتها وتروسها ، تلاحق الأوبئة والأمراض فى غرب (إفريقيا) .. ومثلها آلات أخرى فى عدة بقاع من القارة السوداء التعسة ..

(سافارى) من جديد ..

وطبيبنا المصرى الشاب (علاء عبد العظيم) ما زال يتلمس مواضع قدميه فى عالم طب المناطق الحارة الشائك الغامض .. إنه فى سبيل تحقيق الذات ، لكنه لم يحققها بعد .. ربما بعد أعوام حين يغدو أكبر سنًا وأكثر حكمة ، يمكنه أن يسترخى فى مقعده ويقول بحنكة : أنهكتنى رحلة البحث عن ذاتى ..

لكنه الآن ما زال شابًا متحمسًا متوترًا ، لا يكف

عن التعلم وارتكاب الأخطاء وتلقى اللوم وأحياناً
المديح ..

إنه يحيا وسط غرباء ... يعيش في جو مترجم
بالكامل .. ولربّ غرفة يدخلها يحسب فيها أنه في
(ميونيخ) ، أو غرفة أخرى تشعره أنه في (مانيلا) ،
أو غرفة ثالثة تشعره أنه في (باريس) .. لكنه
مصري جداً .. عربى جداً .. ما زال يشعر بالحنين
للتنزه على (الكورنيش) مع رفاقه ، والشجار مع
أخيه الذى اقتبس بعض العطر من زجاجته ، وسماع
صوت الشيخ (رفعت) فى رمضان فى لحظات
التقرب السابقة لأذان المغرب ..

سيعود يوماً إلى (مصر) ..

متى ؟ ربما بعد عام أو عامين أو عشرين عاماً لو
عاش ، لكنه سيعود .. فقط سيعود أكثر حكمة وعلماً ..
لن يكون واحداً من آلاف الأطباء الذين لا يميزهم
شيء .. سيكون عالماً خبيراً ، ولربما كان لمنصبه
اسم مثير غامض مثل (مستشار الصحة العالمية
لشرق البحر المتوسط) أو (خبير الأوبئة بمنطقة
اليونيسيف) أو (أستاذ زائر بمركز الـ CDC)
لو كانت هناك حقاً مناصب بهذه الأسماء !

وطبعًا لا داعي للقول أن هذا الطبيب هو أنا ..

★ ★ ★

فى استقبال حالات الطوارئ كان هناك كثير من الصراخ ..

كنت هناك مع الطبيب الألماني (هانس) - وهو حديث الخبرة مثلى - حين جاءت الإسعاف حاملة رجلين ..

كانا فى حالة سيئة حقًا ، لا يكفان عن الأين والتلوى ، ويبدو - كما قال المسعف - أنهما أكلا أو شربا شيئًا محليًا لم تتحمله أمعاؤهما الأوروبية .. نعم .. لقد كانا أوروبيين أو غربيين على الأقل ..

كان أولهما قوى البنيان يرتدى قميصًا أخضر رأسًا متسخًا على اللحم ، وسروالًا عتيقًا من مخلفات الجيش ، وله لحية شقراء مشعثة تساعد - مع عينيه الخضراوتين - على إعطائه سميت المذعوبين فى تلك الأفلام القديمة ..

أما الآخر فكان يرتدى (بول - أوفر) ذا خطوط عرضية ، وله شعر حليق قصير ، وأنف قوى معقوف ، وله ذات البنيان القوى الذى يشعر أن الراقد على النقالة ديناصور أو ثور ..

- « أين وجدتموها ؟ »

قال المسعف الذى يتكلم الفرنسية :

- « قرب (أوديجيلا) .. »

- « هل معهما أوراق ؟ »

- « لا .. وهما لا يتكلمان إلا الإنجليزية .. »

كانت (أوديجيلا) - إن لم أكن مخطئاً - قرية فى الشمال الغربى ، وسط منطقة المستنقعات التى تتجه ببطء إلى بحيرة (تشاد) فى الشمال الشرقى ، وبمعنى آخر كانت قريبة جداً من (نيجيريا) ، ولو كنتم ممن لا يملكون موهبة تخيل الاتجاهات مثلى ، يمكنكم الرجوع إلى أقرب خارطة لك (كامبيرون) .. فى مناطق كهذه يصعب أن تجد من يتحدث الفرنسية لأن الإنجليزية هى اللغة الأساسية .. وسوف تجد أن أكثر السكان مسلمون ، والمسلمون فى (الكامبيرون) يمثلون ٢٢٪ من السكان ، بينما يمثل المسيحيون ٥٣٪ منهم ، ويمثل الديانات الإفريقية العجيبة - إياها - النسبة الباقية ، وللأسف تقع (أنجوانديرى) فى منطقة ذاخرة بديانات (الداوا) والـ (أنكلانكولو) .. إلخ .. مما لا يجعل الحياة أكثر بهجة ..

ملت على أول الرجلين - الملتحي - وبالإنجليزية
سألته :

- « ما اسمك ؟ »

بصوت كالفحيح ، قال :

- « (تشارلز) .. (تشارلز إيمري) ..

(أوستراليا) .. »

- « وزميلك ؟ »

- « (جاك) .. نفس الشيء .. »

إذن هما ليسا أوروبيين .. ليست إنجليزيتي بالكفاءة

التي تسمح لي بتمييز اللكنات ، وتمييز (التّطجين

الأسترالي) كما يسمونه ، لكنني على الأقل استطعت تمييز

لكنة غريبة بعض الشيء عما اعتادته أنأى في الإنجليز ..

- « وبماذا تشعر ؟ »

اعتصر بطنه وضغط على أسنانه :

- « بطني ! ألا يبدو هذا واضحاً ؟ »

حقاً يبدو هذا واضحاً .. وإن كنت عاجزاً عن تمييز

شيء بعينه ..

تحسست بطنه بكفى المفتوحة مراراً ، فكان يئن

من حين لآخر ، وإن كان يفعل هذا مغمض العينين ،

وهي حيلة قديمة تعلمتها من أستاذ جراحة مصري شيخ .. مريض الزائدة الدودية الحقيقي ينظر لك طيلة الفحص بعينين متوجستين تنتظران الألم برعب ؛ أما من يدعى الإصابة بالتهابها أو يحسب ذلك بسبب الهستيريا ، فيغمض عينيه طيلة الفحص ..

قاعدة لا بأس بها ، وقلما تفشل .. لكن ثقّتي بها لاتصل إلى صفع هذا الرجل وطرده باعتباره مدعيًا .. المريض الآخر - (جاك) - كان في حالة مماثلة ، والتشخيص إما التهاب معوى شديد أو ادعاء أو وهم .. إن طيف الأعراض المرضية التي يمكن أن ترى بها (مريضًا سليمًا) لواسع جدًا ، ويتوقف على مدى إدراك المريض الواعي لسلامته .. لهذا يبدأ الطيف بالتمارض الصريح - كالتلميذ الذي يحاول تأجيل الامتحان ، وخداع الطبيب - مرورًا بمتلازمة (منخاوزن) (*) وانتهاءً بالهستيريا ، وفيها لا يدرك

(*) (منخاوزن) : بارون ألماني اشتهر بالكذب وتلفيق القصص ، ومتلازمة (منخاوزن) - بالنال - تعنى المريض الكذوب مدمن المستشفيات ، حيث يحير الأطباء بأعراض غريبة لا تنتهي ، وهو لا يجد راحته إلا في المستشفى محاطًا باللون الأبيض !

المريض بتأتا أنه سليم .. بل هو صادق تماماً في
شكواه الزائفة ..

لكن في (سافاري) لا مجال لهذه الاستنتاجات
الذكية ، ولو اتهمت أحدهما بالتمارض ، ثم اتضح أنه
مريض حقاً فالويل لي .. وليس الطرد هو أسوأ
ما سيحدث آنذا ..

قمنا بأخذ بعض عينات الدم ، ثم قمنا بشحنهما إلى
قسم الأمراض الباطنية حيث يبقيان تحت الملاحظة ..
وبعد ساعة جاء مريض آخر على قدميه ..

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

١٨ أكتوبر عام ١٩٩٢

الساعة ١٠، ١١ صباحاً

كان زنجياً ضخماً من الطراز الذي لا تراه في
(إفريقيا) ، ولكن في لاعب كرة السلة الأمريكيين :
الرأس أصلع أملس ، والوجه عتل صفيق ، وله ذراع في
حجم وثقل فخذى ، تطلّ عارية من قميص بلا أكمام ..
وكان يحمل حقيبة جلدية هائلة الحجم على ظهره ،
ويعرج قليلاً ..

سأل بالإنجليزية الغليظة :

- « هل من أحد يتكلم الإنجليزية هنا ؟ »

أشرت له كي يجلس ، فحرر الحقيبة وألقاها أرضاً ،
ثم تحسس جيبه وأنّ في وهن .. سألته :

- « صداع أم ارتفاع في درجة الحرارة ؟ »

نظر بعينيه الصفراوتين إلى المكان من حوله ، ثم

غمغم :

- « صداع يا رجل .. صداع .. لقد داهمني القىء
ثلاث مرات فى ساعة .. »

ولا أدرى سرَّ حبِّ الزوج جميعاً للمناداة
بـ (يا رجل) .. لكن شكواه على كل حال تضع
احتمالات مقلقة كثيرة هاهنا فى (الكاميرون) .. أى
طبيب سيفكر فى ارتفاع ضغط الدم أو أورام المخ ..
أو ... أو ... لكن طبيب (سافارى) لا ينسى أبداً
الملاريا المخية ومرض النوم .. كلها تسبب الصداع
والقىء ..

سأنته وأنا ألف جهاز الضغط بصعوبة بالغة حول
جذع الشجرة الأسود :

- « هل أنت أمريكى ؟ »

قال وهو يشفق طلباً للهواء :

- « بل إنجليزى .. (جيمس ماكجراث) .. »

واصلت النفخ ، وسأنته وأنا أستعد للصماع :

- « أنت هنا للسباحة ؟ »

- « طبعاً يا رجل .. لم آت للبحث عن جذورى .. »

- « ضغطك على ما يُرام على كل حال .. وهل

تتعاطى أقراص الوقاية من الملاريا بانتظام ؟ »

- « لك أن تراهن على ذلك .. لا أريد كائنات قذرة
في دمي .. »

وقبل أن يواصل الكلام تقلص وجهه ، وأطلق
صرخة عاتية مريعة ، صرخة لا يمكن صدورها من
حنجرة غليظة كهذه .. والحق أن صرخته جعلتني
أفقد صوابي وقدرتي على التركيز .. هذا الفتى يتألم
حقاً وبشدة ..

صرخ (هانز) وقد ترك ما كان يقوم به .

- « ماذا عندك يا (علاء) ؟ »

- « صداع .. يبدو أن رأسه ينفجر .. »

- « إذن أرسل في طلب د. (جابرييل) حالاً ..

لربما كنا بصدد انفجار شرياتي في المخ .. »

ولم يترك لي الصراخ المتكرر فرصة للاعتراض ..

أمسكت بالهاتف وطلبت استدعاء د. (جابرييل)

مختص الأمراض العصبية الكاميروني - هل تذكرونه؟

ووضعت السماعة ورحبت أرمق الفتى المولود ،

عاجزاً عن عمل شيء ..

أخيراً - بعد ثلاث دقائق أو ثلاثة قرون - جاء

(جابرييل) غارقاً في العرق كعادته ، فتفحص



وقبل أن يواصل الكلام تقلص وجهه ، وأطلق صرخة عاتية
مربعة ، صرخة لا يمكن صدورها من حنجرة غليظة كهذه ..

العَمَلَقُ الزَنْجِي ، ثُمَّ قَالَ وَهُوَ لَا يَبْعَدُ عَيْنِيهِ عَنْهُ :
- « لَا أَدْرِي .. لَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَتَأَلَّمُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ .. »
قَالَهَا بِالْفَرَنْسِيَّةِ طَبَعًا ، ثُمَّ أَرْدَفَ وَهُوَ يَرْفَعُ سَمَاعَةَ
الْهَاتِفِ :

- « لَكِنِّي لَنْ أَجَازِفَ .. سَأَخْذُهُ عِنْدِي ، وَأُرَتِّبُ
عَمَلِ أَشْعَةٍ مَقْطُوعَةٍ عَلَى الْمَخِ الْآنَ .. لَوْ كَانَ هَذَا
تَمَدُّدًا وَعَائِيًّا فِي طَرِيقِهِ لِلانْفِجَارِ فَتَحْنُ »
وَجَاءَتِ النَّاقِلَةُ ، فَتَمَدَّدَ الْعَمَلَقُ عَلَيْهَا ، وَهُوَ
لَا يَكْفُ عَنْ الصَّرَاحِ ، وَلَاحِظَتْ مَبْتَسِمًا أَنَّهُ لَمْ يَتَخَلَّ
عَنْ حَقِيقَتِهِ .. قَالَتْ لَهُ ضَاحِكًا :

- « يُمْكِنُكَ تَرْكُهَا هُنَا ، وَسَنْضَعُهَا فِي الْأَمَاتَاتِ .. »
مِنْ بَيْنِ أَسْنَانِهِ الْبَيْضَاءِ هَدَرٌ ، وَهُوَ يَضُمُّهَا إِلَى
صَدْرِهِ :

- « لَا .. لَا أَمَاتَاتِ يَا رَجُلَ .. هَؤُلَاءِ الْأَفَارَقَةُ
يَسْرِقُونَ السِّيَاحَ طَوِيلَةَ الْوَقْتِ .. هَذَا عَمَلُهُمْ ! »
كَأَنَّهُ - الْأَحْمَقُ - لَمْ يَكُنْ إِفْرِيْقِيًّا يَوْمًا ، قَبْلَ أَنْ يَحْمِلَهُ
الْبَيْضُ فِي قَاعِ سَفِينَةٍ لِيَكُونَ عَبْدًا فِي مَزْرَعَةٍ مَا ..
وَسَرَّتْهُ رَحِيلُهُ عَلَى النَّاقِلَةِ مَبْتَعِدًا .. إِنْ الْخُلَاصُ
مِنْ كُلِّ هَذَا الصَّرَاحِ لَيْسَ أَمْرًا كَرِيهًا عَلَى كُلِّ حَالٍ ..

★ ★ ★

١٨ أكتوبر عام ١٩٩٧

الساعة ١, ١٥ بعد الظهر

فرغت من الغداء ، وأنا أشعر بالإرهاق يغمرنى ..
لكن يومى لم ينته بعد .. بل - الأحرى - هو لم يبدأ
بعد .. مازالت أمامى جولة كريمة فى عناير (الإيدز) ،
ثم القيام بالغيار على الجروح المتقرحة فى قسم
الجراحة .. هذا هو الجدول الذى وضعوه لى اليوم ..
جاءت (برنات) فجلست جوارى حاملة صينية
غداها ، وحيثى بأسلوب (التشنيكة) الأثير لها
مع (هاى) ، فهزرت رأسى بمعنى أنتى سعيد جداً
لرؤيتها لكننى عاجز عن تحريك أطرافى ..

- « تبدو مرهقا أكثر من اللازم .. »

- « سهر طويل .. وطعام قليل .. وعمل كثير .. »

هذا كل شىء .. »

- « لدى أخبار طيبة لك .. »

بعضها ..

- « ما هى ؟ »

- « لقد اتدبوني لمعهد (باستير) للبحوث الطبية

الحيوية .. »

صعد الطعام مع الحمض إلى أعلى حلقومى ،

وبعصر تساءلت :

- « ف .. فى (فرنسا) ؟ »

- « لا يا أحمق .. بل فى (ياوندى) .. أنت تعرف أن هذا المعهد موجود هناك .. هيه ! لا تتظاهر بالغباء ! مستحيل أنك لا تعرف .. »

وضعت كوب (الكولا) الورقى على المنضدة ، وقلت :

- « حسن .. لم أكن أعلم .. والآن علمت ..
ما المشكلة ؟ »

- « ليكن .. كنت أحسبك أكثر وعيًا بما يدور حولك .. ألن تقدم لى التهاى ؟ »
- « كم تلبثين هناك ؟ »

- « لا أدرى .. ربما شهرًا أو شهرين .. وربما أبقى هناك للأبد لو راقوا لى ، ورقت لهم ! »
نظرت لها فى غياب .. تبًا له من يوم أسود ! هى بالتأكيد تتلاعب بى لتتسلى بأمارات اللففة والحزن على وجهى .. كلهن يفعلن هذا .. كلهن يتكلمن عن الرحيل طيلة الوقت ولا يفعلن ..
قلت لها فى حذر :

- « أرجو أن تحبى الحياة هناك .. ومتى ترحلين ؟ »

- « بعد يوم على الأكثر .. إننى لشديدة الحماس حقًا .. إن (ياوندى) مدينة جميلة حقًا ومتحضرة ،

تختلف عن الأدغال التي تحيط بنا هنا .. هل تعرف
أنها كانت أول مقر لعصبة الأمم ؟ »

بدالى من الغباء أن أبدو غيبًا مرتين ، فهزرت
رأسى فى سأم :

- « طبعًا .. طبعًا .. هذه المعلومات قد صارت
مملة .. »

ثم نهضت وقد قررت أن أنصرف ، حتى لا تشذ
بعصبيتى وجهامتى .. واضح أن كلامها حقيقى ،
ومن الغريب أنها رتبت كل شيء للرحيل - ولا بد أنها
تعرف منذ أسبوعين على الأقل - دون أن تخبرنى
بشيء من هذا .. كلما أفقت نفسى اننى قريب منها
جدًا ، وجدت أنها لا تشعر بشعور مماثل ، ولعل
رحيلها خير بعد كل شيء ..

قالت فى مرح وهى تلتهم طعامها :
- « سأرسل لك خطابًا ، فأنا لست متأكدة من
عنوانى هناك .. »

غمغمت بكلمات ما دون أن أدير وجهى .. ربما قلت :
- « طبعًا .. أنا بالانتظار .. »
أو أى شيء من هذا القبيل ..

★ ★ ★

١٨ أكتوبر عام ١٩٩٧
الساعة ٤,٣٠ بعد الظهر

كدت أفرغ من جولتي في عنابر (الإيدز) ، هذه
المرّة مع صديقي (بسّام) .. وقد أضفى هذا بعض
السلوى على مهمة كئيبة بطبعها كريهة .. كان
(بسّام) يمرّ بطور (عدم التكيّف) المعهود ، حين
يبدأ المرء في الحنين إلى وطنه ، ويشعر بالضيق
والسدى ، مع شعور تامّ بالجهل وعدم الكفاءة أمام
كل هؤلاء العلماء الفطاحل وكل الأمراض المبهمة
هاهنا .. لقد مررت بهذا الطور من قبل ، وعرفت أن
الجميع مرّ به .. فإن لم تستقل وتعدّ لبلادك ينته كل
هذا خلال شهر أو أكثر ، ويبدأ شعور جديد من
الغرور :

أنا لا بأس بي على الإطلاق .. إنهم مجموعة من
الحمقى هاهنا ..

كنت منهمكاً في إخباره بكل هذا ، حين مررنا

بفراش عليه رجل أوروبي ضخمة الجثة ، على ذراعيه
العاريتين وشم كثير ، وفي أذنه قرط متدلى ، وشعره
الأشقر الطويل معقوص خلف رأسه فيما نسميه (ذيل
حصان) .. وكان منظره غريباً لسببين : أولاً : هو
لا يرتدى زى المرضى ثانياً : هو لا يبدو مريضاً على
الإطلاق ..

تفحصت بطاقته فلم أجد شيئاً سوى اسمه :
(ستيفن جالاجر) .. أمريكي .. السن خمسة
وثلاثون عاماً .. والطبيب المعالج هو (آرثر شلبي)
نظرت للرجل .. كانت له نظرات شرسة لا تكف عن
ملاحقتي .. سألته :

- « من أين أنت ؟ »

بلهجة ممطوطة تطيل المقاطع المتحركة ، قال :

- « من (الولايات) .. (فلوريدا) .. »

لست خبيراً باللهجات ، لكنى تعلمت جيداً أن أميز
لهجة الجنوب الأمريكي الممطوطة حين أسمعها ،
وذلك من الأفلام بالطبع ..

- « مع تشكو بالضبط ؟ »

- « حمى منذ شهر .. فقدان وزن منذ شهر .. »

إسهال منذ شهر .. »

- « هل أنت سائح ؟ »

- « لك أن تراهن على هذا .. »

وأراح رأسه على ساعديه القويين في تحد ..
لم يفهم (بسام) ما قيل بالإنجليزية ، فترجمته
له إلى العربية .. قال هامسًا في نبرة من فهم كل
شيء :

- « هذه أعراض توحى بـ (الإيدز) بشدة .. »

- « بل توحى به أكثر من اللازم .. كأن هذا الرجل
يتلو علينا نشرة الـ (CDC) التي وضعت معايير
الاشتباه في الـ (إيدز) .. »

هنا سمعنا من يهتف في مرح :

- « آها ! الشابان العربيان يحاولان أن يتعلما
شيئًا ! »

ونظرت للوراء لأجد (شلبي) - بكسر الشين
وتسكين اللام - أستاذ طب المناطق الحارة قادمًا ،
وهو يرفع خصلة الشعر الأشيب عن عينيه ..
ثم إنه اتجه لمواطنه فقرع كفه بكفه على طريقة
لاعبى السلة ، وهتف في مودة كأنه يلقي صديقًا
قديمًا :

- « كيف حالك يا (ستيف) ؟ أعطنى خمسة
يا (جدع) ! » (*)

ولى قال (بعد ما أخذ الخمسة) :

- « كلابا أمريكى .. وكلابا نحب (الياتكيز) ..
من الغريب أن تجد من يحب الكرة فى هذه الأدغال
الحمقاء .. لقد سحبنا بعض الدم من ذراع (ستيف)
لإجراء اختبارات (الإيدز) وخلافه ، ولسوف يتضح
الأمر هذا المساء .. »

سألته بالفرنسية التى لا اعتقد أن المريض يفهمها:
- « بروفيسور (شلبى) .. هل كل من يشكو من
أعراض مماثلة ، جدير بأن يحتل فراشا هاهنا ؟ أنا
نفسى مصاب بالإسهال منذ أسبوعين .. »

ابتسم فى خبث وأشار إلى المريض، وبالفرنسية قال :
- « ليس عندما يبدو مظهرك كهذا .. قرط فى
الأذن وشعر معقوص ووشم على الذراعين .. إنهم
يسمون هذه .. بـ (علامة سان فرانسيسكو) ، وهى
تجعل شكك فى (الإيدز) مضاعفا .. »

(*) أى (صافحنى) بالعامية .

- « هل تعنى أنه ؟ »

- « منحل أخلاقياً ؟ غالباً .. ولربما هو مدمن مخدرات كذلك .. وحين يُصاب مريض بحمل علامة (سان فرانسيسكو) بالإسهال وفقدان الوزن ، فأنا لا أتردد طويلاً قبل وضعه فى عنابر (الإيدز) ، وحتى يثبت العكس .. »

هزئت رأسى وقد فهمت ..

حقاً (شلبى) لا يفعل شيئاً دون أن يكون لديه سبب واضح ، وعلامة (سان فرانسيسكو) هذه معلومة لا بأس بها لن أنساها أبداً .. بقى أن أذكر أن أول وصف لمرض (الإيدز) فى التاريخ جاء من (سان فرانسيسكو) ، وبالتحديد من مدمنى المخدرات هناك .. أما عن وشم الجسد فهو من الطرق المحببة للإصابة بالتهاب الكبد الفيروسي و (الإيدز) ..

قبل أن تنصرف ، همست فى أذن (شلبى) :

- « هذا الرجل يفهم الفرنسية .. أقسم على هذا .. »

- « (ستيف) ؟ إنه جاهل كقملة .. »

- « بل يفهمها .. إن النظرات لا تكذب فى هذا

الصدد .. »

★ ★ ★

١٨ أكتوبر عام ١٩٩٧

الساعة ٨,٤٥ مساء

ألن ينتهى هذا اليوم أبداً ؟

هأنذا أجر قدمى جرأ بين أسرة المرضى فى قسم
الجراحة ، يساعدى (بسام) الذى لم يكن مشغولاً
هذا المساء ، فتطوع بمعاونتى ..

وتكفل الإرهاق بجعلى عاجزاً حقاً عن تمييز أى
المرضى رأيت ، وأيهم لم أره .. كل الجروح قد
تداخلت فى ذاكرتى ، وكلها تتشابه ..

لكن مشهد تلك الساق لم يكن مما يمكن نسيته
بسهولة ..

تسميها الكتب الطبية باسم (غنغرينا الغاز) ..
ولها قصة طويلة معقدة ، لكننى سألخص الموقف كما
يلى : ساق متآكلة ورائحة لا توصف وجرح لم يلق
العناية الكافية ..

كان مريضنا رجلاً أوروبياً طالت لحيته السوداء
المختلطة بالشيب .. وله وجه قوى حقاً ، كأما اعتاد
الأمر والنهي طيلة حياته .. فى تعالٍ وكبرياء ..
يجلس فى الفراش ماداً ساقه لى ، وفى يده لقافة تبغ
مشتعلة ..

قلت له فى برود :

- « التدخين ممنوع .. »

تردد هنيهة ، ثم دفن اللقافة فى كوب ماء جوار
فراشه ، وبابتسامة دافئة قال وبقايا الدخان تخرج من
منخريه :

- « معذرة .. فلم يقل لى أحد هذا .. إنها تنسينى

الرائحة على كل حال .. »

- « إذن هم مخطئون .. هل أنت إنجليزى ؟ »

- « (نيوزيلندى) .. (روجر مورلاند) .. »

ثم بقلق حقيقى ، أشار إلى ساقه ، وتساعل :

- « هل .. هل ستشفى ؟ »

كان منظر الساق مريعاً ، ولو كنت جراحاً مؤهلاً

لقلت ببترها حالاً .. لكنى أعرف المعجزات التى

تصنعها الجراحة الحديثة .. قلت له :

- « بالتأكيد .. ما دمت تتعاطى المصل المضاد
للسم ، وتخضع للغيار المنتظم .. »
من يدري ؟ ربما كان هناك حل لا أعرفه ينقذه من
الإعاقة ..

سألته وأنا مستمر فى مهمتى الكريهة (لو كان
بيدى لطلبت منه إشعال لفافة تبغ أخرى ، علها تزيل
هذه الرائحة برائحتها الكريهة الشنيعة) :
- « متى حدث هذا الجرح ؟ »

- « لم أعد أذكر .. لكن قدمى انفجرت فى فخ
للنمور ، وتمزقت تماماً .. »
- « أنت صياد ؟ »

ضحك طويلاً محاولاً تناسى آلامه ، وقال :
- « يا بنى لم يعد من مكان فى (إفريقيا) ، يمكن
ممارسة الصيد فيه دون أن يقبض عليك رجال
المحميات .. لو أنك حاولت ضرب بعوضة بكفك
لوجدت نفسك فى السجن بتهمة تبديد الحياة
الطبيعية .. لقد ولت أيام حملات (السافارى)
والحمالين الوطنيين .. تلك كانت أيام سعد ! »
- « لكن هذا لم يجب على سؤالى .. »

- « إن قرى (الباميليك) تذر بهذه المصايد
لحماية حدودها .. ومن المستحيل على من ليس من
(الباميليك) أن يعرف مكان الشرك .. »

- « لحسن الحظ أن الفخ لم يمزقك .. »

- « إنه حظ كلب الصيد العجوز .. »

الحق إنه كان لطيفاً ، وكان يتحدث بخبرة من
عرف (إفريقيا) حقاً ..

ونظرت بطرف عيني إلى أسفل فراشه ، فوجدت
حقيبة هائلة الحجم موضوعة هناك ، وإن ظلت بارزة
للعيان ..

قلت وأنا أضمد الجرح :

- « يمكنك الاحتفاظ بحقيبتك في الأمانات .. »

ابتسم والتمعت عيناه :

- « إن أشياء الشخصية بها ، ومالي كذلك ..
ولقد تعلمنا - نحن الغربيين - ألا نثق في الأفارقة
كثيراً .. معذرة لغلظتي ، لكنك لا تبدو لى إفريقياً ..
أعتقد أنك عربى .. »

- « أنا مصرى .. وقد اعتدنا أن نعتبر أنفسنا
أفارقة .. »



ونظرت بطرف عيني إلى أسفل فراشه ، فوجدت حقيبة هائلة
الحجم موضوعة هناك ، وإن ظلت بارزة للعيان ..

- « هلم إن الأمر يختلف .. أنت تعرف أنني أتكلم
عن الأفارقة جنوبى الصحراء الكبرى .. إن سكان
شمال (إفريقيا) يختلفون ، وأعتقد أن تجارة الرقيق
لم تبدأ فى (أوروبا) بل بدأت عندهم ! »

كنت قد اعتدت سماع هذا النوع من الغربيين ، ولم
أعد أهتم بالمجادلة فيه .. سياسة التفرقة بين العربى
والإفريقى ، حتى يظل الإفريقى متشككاً فى العربى
أبداً .. لقد حكى الأستاذ (أنيس منصور) عن الطبيب
الهولندى الذى نصحه بعد مصافحة الأفارقة (لأن
هناك أمراضاً رهيبية تنتقل بالمصافحة) ، ثم أدرك
كاتبنا أن هذا شرك مقصود ، لأن الامتناع عن
مصافحة الأفارقة إهانة ما بعدها إهانة .. ومعناها :
أن العربى أسوأ من الغربى وأكثر تعالياً ..

ابتلعت أفكارى ، وأنهيت مهمتى .. وكان (بسام)
قد انتهى بدوره ، فحييت النيوزلندى بهزة رأسى ،
وغادرنا العنبر ..

لقد استحققت - بجدارة - ساعات النوم القادمة ..

١٨ أكتوبر عام ١٩٩٧

الساعة ١٠,٠٠ مساءً

فى الجناح الذى يقيم به الأطباء ، كنت متجهًا إلى
غرفتى داعيًا الله (عز وجل) ألا أقابل أحدًا مهما
كان .. رأيت د. (جابريل) الكاميرونى واقفاً يتكلم
فى سماعة الهاتف الموجود بالممر ، وكانت ذقته
ملوثة بالصابون مما أكد لى - أنتم تعرفون ذكائى -
أنه كان يحلق ذقته حين جاءتة المكالمة ..

كان يحمل المنشفة على ذراعه ، ويمرر طرفها
على ذقته من أن لآخر وهو يردد دون عبارات
أخرى :

- « هم م م .. هم .. هكذا ؟ هم م م ؟ »

فلما رأتى حياتى دون اكتراث ملوحًا بيده ، وواصل
الكلام .. ثم وضع السماعة وبدأ عليه الشرود ..
سألته على سبيل المجاملة :

- « هل هى كارثة ؟ »

- « آه لا .. لا .. هناك مريضان أوروبيان جاءا الآن في غيبوبة كاملة ، وقد فشلت كل محاولات الإفاقة المعتادة .. »

- « إن الأوروبيين يمرضون كثيرًا هذه الأيام .. بالمناسبة ماذا عن مريض الصباح ؟ المصاب بالصداع إياه .. »

جفف ذقنه بالكامل ، وقد عزم على قطع حلقته ، وقال :

- « كما توقعنا .. لا شيء على الإطلاق .. الأشعة المقطعية سليمة تمامًا .. لكننا لم نطرده بعد .. »
- « ولمه ؟ »

- « إنه ما زال يصرخ من هول الصداع .. غداً سأرى رأى د. (البرتوبتسو) ورأى د. (ليفي) لا بد من استبعاد وجود التهاب بالجيوب الأنفية أو ارتفاع في ضغط العين .. إن التخلص من مريض يصرخ لأمر عسير بعض الشيء حتى لو كان شديد الإغراء .. »

تساءلت وسألته :

- « هاآاه ؟ ماذا عن التمارض ؟ »

— « التمارض ؟ كل شيء يؤكد أن الرجل
متمارض ، لكنى لن أقسم على هذا قبل أن أستبعد كل
احتمال آخر .. »

والحقيقة هنا هي أن المتمارضين يفتضح أمرهم
سريعاً .. لن يلبث الرجل أن يملّ الصراخ والأنيين ،
أو يجد نفسه منفرداً بلا ضرورة للتصنع .. أو ينسى
التمثيل فى اللحظة التى تخاطبه فيها ..

لكن المشكلة ليست مشكلتى لحسن الحظ ..

وهكذا دخلت إلى غرفتى ، بينما عاد (جابريل)
ليرتدى ثيابه ومعطفه ليلاحق بالكارنتين اللتين
تنتظراه فى استقبال (سافارى) ..

وفى الفراش خطر لى أن عدد الغربيين الذين
رأيتهم اليوم قد صار سبعة ، إذا حسبنا مريضى
(جابريل) الأخيرين ..

هذا .. ها ا ا ا ا ا و م م .. غريب .. ها آ آ آ آ
آ ه .. غريب ..

خخ خخ خخ خ !

* * *

١٩ أكتوبر عام ١٩٩٧

الساعة السابعة صباحاً

دق جرس المنبه كأنما يهز جذع مخي هذا لينزعه
من موضعه ، فمددت يداً غاضبة أخرسه بها ،
وحركت أطرافى .. كم أنا مرهق !

يقولون : إن المرض الوحيد الذى يصحو فيه
المريض مرهقاً بعد نوم تسع ساعات كاملة هو
الاكتئاب .. كل الأمراض الأخرى - بما فيها الدرن
والسرطان - يصحو مريضها من النوم أفضل حالاً ..
وأنا مكتئب حقاً .. الوتيرة الرتيبة للحياة - برغم
ما فيها من مخاطر - والافتقار للأهل والأصدقاء ،
كلها أشياء لا تثير السعادة فى النفس ..

للحظة خطر لى أننى أتمنى لو مرضت قليلاً ! بعض
المرض - غير الخطير طبعا - سيسمح لى بالراحة ،
ويضفى بعض الإثارة على حياتى ، ويجعلنى أظفر
ببعض الاهتمام فى هذا العالم البارد الثلجى ..

لكننى فى أتم صحة ، ولا يبدو نذير مرض فى
 الجو .. ثم إبنى لن أمارض حتى لا أمرض فأموت ،
 ولو حاولت فمن السهل أن يفتضح أمرى ، كما سهل
 على فضح أمر أولئك الغربيين غريبى الأطوار ..
 وشعرت بحنين لأيام التدليل السابقة مع والدتى ..
 حين كنت لا أصحو قبل العاشرة صباحاً ، وأغضب
 حتى الجنون لأن الشاي بارد ، أو لأن مائدة الإفطار
 لا تحوى سوى الفول المدمس ، ويكفى أن أتحمس
 جببنى حتى يعرف الشارع كله أننى مريض ،
 وسرعان ما يدسون بى فى الفراش ويرغموننى على
 احتساء عصير الليمون الساخن ، مع دهن جببنى
 بمرهم (النمر) إياه ذى الرائحة القوية ، الذى صنعه
 رهبان (التبت) شخصياً !

بعض التدليل والاهتمام .. هذا ما أتوق إليه الآن ..

★ ★ ★

وفى طريقى إلى المعمل - حيث عملى اليوم - قابلت
 ممرضاً أسود يدفع مقعداً متحركاً فى رفق كثير ، وعلى
 المقعد عملاق أبيض البشرة ، له عين عوراء يغطيها
 بعصابة سوداء على طريقة الجنرال (دايان) أو قراصنة
 (الكاريبى) ..

غريب هذا !

الحق أن الأمر صار غريباً حقاً ..

هل انتقلت (سافارى) إلى (أوروبا) فجأة دون أن يخبرونى ؟ لقد كدت أنسى شكل المرضى الأفارقة .. هل صارت (الكامبيرون) فجأة هى أهم مراكز السياحة فى العالم ؟ ولو كان هذا صحيحاً فلماذا يمرض السائحون جميعاً ؟

بلغ السيل (الزبى) كما يقول أجدادنا - والزبى هى الحفرة العميقة التى يحفرونها لتسقط فيها الأسود - وتراحت علامات الاستفهام ..

ودون تفكير قصدت قسم الحاسب الآلى فى (سافارى) ..

* * *

١٩ أكتوبر عام ١٩٩٧

الساعة ٧,٣٠ صباحًا

كانت (جرتروود) الزنجية الأمريكية المسنولة عن الحاسب الآلى ؛ قد شرعت فى الجلوس على مقعدها لتبدأ اليوم .. أعدت كوبًا من القهوة ، وفتحت ورقة تحوى بعض الشطائر .. لهذا لم تبد سعيدة جدًا حين رأتى ..

- « صباح الخير يا (عسل) .. »

قالتها فى لا مبالاة ، وتأملتى بعينين صفراوتين فضوليتين ..

- « صباح الخير يا غالية .. أريد البحث عن معلومة ما .. »

- « عظيم ! أنا أحب المتحمسين إلى هذا الحد .. »

قلت محاولاً ألا أبدو مستفزاً وإلا لن تفعل لى شيئاً :

- « هل يمكنك أن تخبريني بعدد الغربيين
- أمريكيين كانوا أو أوروبيين أو أستراليين - الذين
دخلوا (سافاري) فى الأيام الثلاثة الماضية ؟ »
- « هذا سهل .. لكنه يحتمل الانتظار حتى تلتهم
العصافير الديدان .. »

- « ثمة احتمال لا بأس به أن أكون أنا دودة
أخرى .. »

داعبت المفاتيح بأناملها ببراعة مذهلة ، وعلى
الشاشة رأيت ما يشبه جدولاً يحوى بعض الأسماء ..
- « العدد .. ثلاثون ! وكلهم جاعوا أمس ! »
تصلبت محاولاً استيعاب المعلومة .. ثلاثون كلهم
جاعوا أمس .. لقد كنت على حق .. هناك شيء
مريب يحدث ..

- « أليس هذا غريباً ؟ »

مطت شففتها السفلى الغليظة وقالت :

- « نعم .. إن (سافاري) مركز كبير يا بنى ،
ولن تتصور مدى النتائج الغربية التى ستحصل عليها
لو بحثت عن معلومة ما .. ربما لو بحثت عن عدد
الأشخاص الذين يعرجون بالمساق اليسرى ، أو الذين

لهم شامة تحت العين اليمنى ، لحصلت على أرقام
أكبر من هذه .. »

أعدت تأمل الشاشة ، ثم طلبت منها طباعة هذه
النتائج ..

- « ليكن يا روهى .. كلها لك ! »

وابتلعت طريقتها فى الكلام ، لأن (جرتروود)
تستخدم دائماً هذه التعبيرات ، التى تحمل نوعاً ما من
الصخرية - كأنها تخاطب طفلاً - وليس مقصوداً بها
الغزل طبعاً ..

كريبك كريبك ! راحت الطابعة النقطية تصر
بصوتها المولول الذى يحطم الأعصاب ، وأخيراً مزقت
(جرتروود) لفافة الورق وناولتها لى ..

هنا خطر لى سؤال آخر :

- « ما الأوراق التى يحملها هؤلاء ؟ »

أعادت تأمل الشاشة ، وغمقت :

- « لا أوراق .. كلهم لا يحملون سوى كلماتهم
وأمرضهم .. »

- « وهذا ليس غريباً بدوره ؟ »

- « نحن فى (سافارى) يا حبيب القلب ، أى أننا

فى مستشفى لو كنت تترك هذا .. ما يعنىنا هو آلام
الناس وليست أسماؤهم .. وإلا ما الفارق بيننا وبين
الجمارك ؟ »

شكرتها فى حرارة ، وغادرت المكان ..

ثلاثون شخصًا غريبًا يظهرون فى (سافارى) فى
يوم واحد .. كلهم بلا أوراق .. وكلهم بلا أمراض
حقيقية .. صحيح أنهم مُحَيَّرُونَ .. صحيح أنهم
يضعون الطبيب فى موقف يعجز معه عن تبين القرار
الصحيح .. لكننى واثق من أنهم - أو أكثرهم -
يدعون المرض ..

لماذا ؟

أعتقد أن الوقت قد حان لمصارحة البروفسور
(هارتلييه) بمخاوفى .

★ ★ ★

ثاني الفصول

ويحكى عن الحصار والتوتر
تحت سيطرة الفصيلة

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

١٩ أكتوبر عام ١٩٩٧
الساعة ٩،٣٠ صباحاً

قال البروفيسور (بارتلييه) وهو يقضم قطعة
(التوست) :

- « هذا اهتمام مشكور يا (علاء) ، ويدل
على حماس لا بأس به ، لكنى لا أجد الأمر بهذه
الخطورة ... »

وصباً لنفسه بعض القهوة فى كوب ورقى ، وابتلع
نصف دزينة من الأقراص المعالجة لارتفاع الضغط
والكوليستيرول والسكر ، وأردف :

- « نحن لا نسأل أسئلة كثيرة فى (سافارى) ..
الطبيب لا يسأل سوى ثلاثة أسئلة : مِمَّ يشكو
المريض ؟ - كيف نعالجه ؟ - ترى هل شفى ؟ »

كنت جالساً أمامه فى المكتب حيث يتناول إفطاره
- وهذا الرجل لا يتناول طعامه فى بيته أبداً - أصفى
لكلامه الذى بدا لى غير معقول وغير منطقى ..

لم أجد ما يقال ، ولم أر داعيًا لمزيد من الجدل :
فهزئت رأسي في أدب قلما شوهدت أمارسه ، وطلبت
منه الإذن بالانصراف .

★ ★ ★

لكن ما إن خرجت من المكتب حتى وجدت نحو
عشرة من هؤلاء القوم يقفون ، وقد بدا عليهم
الغضب ..

كان منهم من تعرفته على الفور : (ستيفن جالاجر)
الأمريكي و (روجر مورلاند) النيوزيلندي و (تشارلز
إيمري) الأسترالي و ... لقد نصيت باقي الأسماء
لكني لم أنس الوجوه .. وإلى جانب هؤلاء كان من لم
أره البارحة ، لكنه يحمل الملامح ذاتها .. وكان ثلاثة
منهم يحملون الحقايب العملاقة الشبيهة بالجربنديات
إياها ..

كلهم - ما عدا الغضب - كانوا في خير حال ممكن ،
وكلهم كانوا يقفون ويمشون ويصيحون في حماس ..
وتعرفت رجلى أمن - أحدهما (أونكيزي) - بشيابهما
الزرقاء الرسمية يحاولان منع هذا الجمع الغاضب من
افتحام مكتب المدير ..

كانت المشاجرة بالفرنسية ، وإن تناثرت ألفاظ
السباب الإنجليزية في كل صوب ، وقد تزعم الكلام
رجل له شارب كث يتحدث الفرنسية بطلاقة لا تصدر
إلا من فرنسي أو بلجيكي ..
كان يقول :

- « أقول إن هذا الإهمال لا يُطاق .. ولئن مات
(جيم) فدورنا قادم لا محالة ! لا بد من أن نقابل
المدير لنقول له كلمتين ! »

ثمة شيء غريب في هؤلاء الرجال .. مظهرهم
يذكرني بشيء لا أذكره بالضبط لكنه موجود .. لقد
سمعت هذا اللحن من قبل ولكن أين ؟ »

كان (أونكيزي) مرتبكا ، وسرعان ما لحق به
رجل أمن كامبيروني ثالث راح يستفسر عن الموضوع
فهمس له (أونكيزي) بشيء ما .. في الغالب يريد
أن يهرع إلى المدير ليستشير .. لربما كان من
الحكمة أن يخرج المدير للتفاهم مع هؤلاء المرضى
بدلاً من أن يدخلوا هم إليه ..

غريب هذا المشهد ! يذكرني بإضرابات العمال في
المصانع ، إذ يحتشدون غاضبين مطالبين بمقابلة

مدير المصنع .. على الأقل يطالبون بذلك لعدد منهم
اختارتهم اللجنة النقابية .. لكن (سافارى) ليست
مصنعا ، ومن المؤكد أن خدماتها للمرضى لا تشوبها
شائبة .. عجيب هذا حقاً !

وسرعان ما ظهر رجل أمن رابع وخامس ،
وراحوا يثرثرون مع هؤلاء القوم ، محاولين إقناعهم
بخفض أصواتهم ..

فى هذه اللحظة نظر (مورلاند) إلى الموقف
بعينين لا تطرفان ، ثم بصوت بارد ، لكنه مرتفع
حازم صاح بالإنجليزية :

- « هلموا يا شباب ! »

وقبل أن ينتهى من حرف الباء فى كلمة (شباب) ،
كان مسدس قد ظهر فى يد أحد هؤلاء المرضى ،
وانطلقت ثلاث رصاصات لتستقر فى جسد (أونكيزى)
وأحد رجال الأمن ..

★ ★ ★

١٩ أكتوبر عام ١٩٩٧
الساعة ١٢، ١٠ صباحاً

كان المشهد الآن كما يلي :
الدخان يرفع الجو ، وقد سقط رجلان على الأرض
مضرجين في الدماء ، والذهول الذي يلي إطلاق
النيران يعم المكان ..

تراجعت للوراء وقد شل تفكيرى من المفاجأة ،
وخطر لى أنهم ينبطحون أرضاً فى ظروف مماثلة فى
السينما وكما علمونى فى الجيش .. لكن جسدى كان
منفصلاً تماماً عن الإشارات الكهربائية لجهازى العصبى ..
أخرجنى (مورلاند) من ذهولى ، إذ أشار لى فى
حزم ثم إلى الرجلين على الأرض :

- « تول أمر هذين ! »

جثوت على ركبتى ، ومددت أيامنى أتحمس عنق
الرجل الأول .. لقد مات على الفور واخترقت
الرصاصه قلبه بدقة .. أما (أونكيزى) فكان حيّاً
وإن مزقت الرصاصه كتفه .. كان ينزف وينن ..



جثوت على ركبتي ، ومددت أناملی أتحسس عنق الرجل الأول ..
لقد مات على الفور ، واخترقت الرصاصة قلبه بدقة ..

وسمعت (مورلاند) يقول بصوت مرتفع :
- « كان هذا درسًا قاسيًا أردنا به العبرة لمن
يعتبر .. لكن دعنا نؤكد أننا لم نحب هذا قط ،
ولا نرغب في إرغامنا على عمله ثانية .. »
نظرت له وبحثت عن الكلمات بصعوبة :
- « هذا ميت .. أما الآخر فجريح .. »
- « إذن أطلب له النجدة .. ماذا تنتظر ؟ »
ثم - باحترام شديد - أشار إلى (إيمري) ، وأمره :
- « جرد رجال الأمن من مسدساتهم ، ولا تنس
الفقيد .. »

صار الأمر واضحًا الآن .. إن (مورلاند) هو قائد
هذه المجموعة ، وبرغم حالته الصحية المتدنية ..
كان هو الوحيد الذي يعتمد على عكاز ، وساقه التي
ضمدتها أنا أمس قد تلوّثت أربطتها .. لكنه كان يأمر
ويقود بالنظرات والنبرة الهادئة الحازمة ..
سألته وأنا راكع جوار (أونكيزي) :
- « ماذا تريدون بالضبط ؟ مستحيل أن يكون هذا
بسبب نقص العناية الطبية هنا ! »

ضحك ضحكة مقتضبة ، واعتدل على عكازه :
- « بالطبع لا يا دكتور .. هي مجرد حيلة لحشد رجال

الأمن كلهم فى مكان واحد .. أما عن غرضنا فهذا ليس
من شأنك .. سيكون كلامى مع المدير شخصيًا ، والذي
بدأت أرتاب فى حالة أفضيه بعد هذا الضجيج ..
وهنا عرفت ما تحويه كل هذه الحقائق .. إنهم
يتقدمون واحدًا بعد الآخر ليأخذ كل منهم من حقيته بنقدية
آلية أو مدفع (عوزى) ، ومسدسًا يدسه فى خصره ..
ثم بدعوا يتروون بحاجاتهم من القنابل اليدوية ..
ترساتة كاملة فى هذه الحقائق ، ومن الغريب أن
أحدًا لم يفكر فى تفتيشها ، ولهذا كانوا يصرون على
الاحتفاظ بها ..

★ ★ ★

لقد تعلمنا - نحن الغربيين - ألا نشق فى الأفارقة
كثيرًا ..

★ ★ ★

لا أمانات يا رجل .. هؤلاء الأفارقة يسرقون
السياح طيلة الوقت .. هذا عملهم !

★ ★ ★

هو ذا البروفسور (بارتليه) قائم من بعيد يجر ساقًا
خلف ساق .. إن أسوأ مفاجآت عمره تنتظره بالتأكيد ..
وخلفه يجرى مستر (براكللى) نائب المدير الثانى ،

ثم السكرتيرة الحسناء ، ثم - من الجهة الأخرى - حشد
من طاقم (سافارى) وقد سمعوا صوت الطلقات ..
الآن يتخذ المسلحون أوضاعاً مدروسة يصوبون
بها أسلحتهم على القادمين ، وقد أدركت من طريقهم
فى إمساك المسدس باليدين ، أو رفع فوهة البندقية
الآلية لأعلى ، أنهم محترفون حقاً .. قوم يعيشون
ويأكلون وينامون جوار تلك الأسلحة الخطرة ..
فى جزع صاح (بارتلييه) :

- « م .. ماذا يحدث ؟ من أنتم ؟ »

للمرة الأولى يكشف (مورلاند) عن إجابته للفرنسية ،
فيقول للمدير وهو ينحنى فى احترام مفتعل :
- « الميجور (آرثر بلاكللى) قائد هذه المجموعة
يا سيدى .. ودعنى أقل لك : إن هناك ثلاثين جندياً
من رجالى فى وحدتك هذه يا سيدى ، يسيطرون
على كل المواقع الحيوية فى اللحظة التى سمعوا فيها
طلقات الرصاص .. »

ابتلع (بارتلييه) ريقه ، وأدركت أنه لا يحب كثيراً
أن يحتل الإرهابيون مستشفاه ويقتلوا رجاله .. إن
لكل شخص ذوقاً خاصاً كما تعلم ..
قال (بارتلييه) بعد ما وجد الكلمات :

- « م .. ماذا تريدون ؟ هـ هذه الو .. الوحدة
منظمة د .. دولية .. »

- « وهذا هو المطلوب .. »

ومن جيبه أخرج مسدسًا شرس المظهر ، وتقدم
خطوتين على عكازه :

- « مر رجالك أن يتفرقوا ويمارسوا عملهم ، فلن
يصيبهم ضرر ما .. إن تذكروا أيام المدرسة وأطاعوا
كلمات المعلمة .. »

نظر (بارتلييه) لنا وقرر أن يمارس دور الأب المضحي :

- « عولوا لأعمالكم يا أبنائي ، ولا تستفزوا هؤلاء .. »

ثم أشار باتجاه مكتبه ، وقال للميجور :

- « هلا تكلمنا في مكتبي ؟ »

- « كنت سأقترح الشيء ذاته .. »

وفي صمت انسحب الرجلان نحو مكتب المدير ..

كان (بسام) واقفًا وقد بدا عليه الارتباك وعدم

الفهم .. كان يعمل في قسم الأشعة حين سمع هذا

الضجيج .. ونظر لى نظرة حائرة معناها (هل الأمر بهذا

السوء ؟) فبادلته بنظرة معناها (بل هو أسوأ !) ..

ومتزنًا فاقد الاتزان ابتعدت عن المكان ..

★ ★ ★

١٩ أكتوبر ١٩٩٧ عام

الساعة ١٠, ١١ صباحًا

دخلت المعمل حيث كان عملي ، وهذه المرة لم توجه لي د. (هيلجا) عبارات اللوم على تأخري ، حيث تتدخل تعبيرات وجهها الشرسة في تحويل لومها إلى نوع مهين جدًا من السب العنفي ..

لم توجه لي كلمة ؛ لأن الظروف لم تكن ملائمة ، والظروف التي أتحدث عنها هي (جيمس) الزنجرى الإنجليزى .. كان جالسًا - كجبل (التوباد) - في مدخل المعمل ، وقد أمسك بيده اليمنى مدفعًا (عوزى) لا يتناسب مع حجم نراعه .. وكان قد ارتدى سروالا من سراويل القوات الخاصة ، مبرقشًا ببقع خضراء .. صامتًا كان ، لكنه صمت بليغ جدًا يقول الكثير ..

بدأت العمل مع د. (هيلجا) في شيء من عصبية .. من العسير أن تؤدي عملك مهما كان ، بينما سلاح نارى في المكان .. سلاح يمكن أن ينفجر فى وجهك فى أية لحظة ..

لكننى لم أستطع كبح جماح لسانى - وهو فى مكان
زلق - فقلت له إذ مررت بجواره ، وبلهجة فيها
بعض التهكم :

- « أعتقد - والحمد لله - أنك شفيت تمامًا من
الصداع .. »

قال فى برود بشفتيه الغليظتين :
- « الحرب هى الحرب يا رجل .. لا بد من
الخداع .. »

ودسّ المدفع تحت إبطه ليشعل سيجارًا غليظ
المظهر ، فراح (هيلجا) التى لا تطيق الدخان تلوح
فى عصبية لتبعد الرائحة عنها ..
قال فى شيء من الاستمتاع :

- « معذرة يا أختاه .. فلسنا ندمى الأخلاق إلى هذا
الحد .. »

وواصل نفث الدخان .. وواصلنا عملنا فى توتر ..
يبدو أن عشر دقائق قد مرت علينا ، حين سمعنا
الصوت الرخيم المصطنع يقول فى مكبر الصوت : إننا
مطلوبون فى قاعة الـ (تيوتور) ، فى الطابق الثانى ..
نظرت له ، وقلت :

« المدير يريدنا .. لا بد أن هذا بشأتكم .. »
نفث الدخان الكثيف ، وأشار إلى الباب بمعنى أنه
بوسعنا الذهاب .. ولم تكن (هيلجا) تفهم حرفاً
بالطبع لأنها ألمانية تجيد الفرنسية ، لكن لغة
الإشارات عالمية على كل حال ..

سألتني وهي تغادر المكان معي :
« ماذا يعنيه هذا الحيوان بكلمة Sis (أختاه) ؟
هل يشتمنى ؟ »

« كلا .. إنه يبجلك .. من الواضح أنك جديرة
بهذا .. »

قلو جرؤ هذا الحيوان - كما تصفه - على إهانتها ،
لكان آخر يوم في حياته ، حتى لو كان يملك مدافع
الأرض .. حتى الإرهابيين يرتجفون هلعاً من (هيلجا)
الشمطاء شديدة الشراسة ..

★ ★ ★

وندخل الـ (تيوتور) حيث احتشد كل طاقم
(سافارى) تقريباً .. لكنه لم يكن كأي اجتماع آخر
عرفته (سافارى) ..
الوجوم على الوجوه ، وبعض الهستيريات يبكين ..

وفي الجو ذلك الكفهرار الذي يصيب بالعدوى السماء
ذاتها فتحتشد بالغيوم ..

الجديد في هذا الاجتماع أيضا هو ذلك العدد من
الرجال الأشداء المسلحين ، الذين وقفوا - في توتر
الحارس الخاص وتوفره - يحيطون بالجالسين ، وكثير
منهم يدخن في استهتار غير مبال بتعليمات منع التدخين ..
ورحت أرمق وجوههم خلصة ..
أعوذ بالله !

هذه أشرس وجوه رأيتها في حياتي .. وجوه
لا تنتظر منها رحمة أو تفاهما أو تعقلا .. وجوه
رعاع منبوزين لفظهم المجتمع ، ويمكن أن تظهر
صورهم في أي مرجع للطب النفسي تحت عنوان
(الشخصية السايكوباتية) .. وبالطبع كانوا سعداء
فخورين منتشين بكل هؤلاء العلماء الذين تعجز
سيقاتهم عن حملهم ..

إن قوانين القوة الغاشمة غريبة حقًا .. لقد
أمسك الرعاع - أيام الثورة الفرنسية - بالعلامة
(بريستلي) ، سيد كيميائي عصره ، وقطعوا رقبتَه
بالمقصلة في ثانية واحدة ..

بالمثل يستطيع أي وغد من هؤلاء أن يقتل

(شلبى) أو عالماً من وزن (هاتز شيفرن) ، فى
ثانية واحدة ، وبرصاصة بيضعة قروش ..
وعلى المنصة تخرج الجسد المكتنز لـ (بارتلييه) ،
ووقف أمام الميكروفون وهو يجفف قطرات العرق
على جبينه ، وبالطبع لم يقل مزحته السخيفة (كيف
حالك هناك) التى لا يفهم أحد لماذا يضحك بعدها ..
بصوت مبحوح قليلاً قال :

- « نحن فى ظروف عسيرة ، وأعتقد أن جميعكم
يفهم ما يحدث الآن .. »

ومن وراءه - على عكازه - لنا الميجور التوزيلندى
(مورلاند) - أو (آرثر بلاكلى) الآن - وقف يصفى
للكلام فى اهتمام ..

حقاً كان (بلاكلى) هو أكثر المعتدين قابلية للتفاهم ..
يبدو رزيناً متعقلاً قد علمته السنون كيف يكون حكيماً ..
صحيح أنه قرصان ، لكن شتان ما بين قرصان
وقرصان .. هذا رجل عاقل قوى الشخصية يعرف كيف
يسيطر على مجموعة النصاب المسعورة هذه ..

قال المدير وبعد ما سئل مرتين :

- « إن السادة الذين شرفونا هنا - غير مدعوين -

قد احتلوا الوحدة تماماً ، ومن نافلة القول أن أؤكد أن

الوحدة مغلقة ولا تتعامل مع الوطنيين .. خطوط
الهاتف واللاسلكى كلها تحت سيطرتهم .. ستمارسون
أعمالكم المعتادة وتتحاشون الاحتكاك ، ويعتكم الميجور
(بلاكلى) بالأمان والسلامة ما لم تثيروا حفيظته .. «
هنا نهض (آرثر شلبى) - ما كان ليظل صامتاً مع
ولعه الدائم بالظهور - وحك شعره الأسيب ، ثم تساعل :
- « هل يُعدّ من الفضول الزائد يا (موريس) أن
نعرف سرّ هذا كله ؟ »

نظر المدير متسائلاً إلى (بلاكلى) .. فتقدم (بلاكلى)
إلى مكبر الصوت فى كياسة ، وبصوت هادئ قال :
- « كلا .. لا يُعدّ فضولاً زائداً يا مستر ؟ »
- (شلبى) .. (آرثر شلبى) .. «
- « فيما أظن أنت أمريكى ؟ »

- « نعم .. ومعى عشرون ونيف من الأمريكيين
هنا .. ودعنى أؤكد لك أن حكومتى لن تكتفى بشدّة
آذانكم .. »

شعرت بغیظ لهذه العبارة ، التى ظاهرها الشجاعة
وباطنها الغرور والأنانية .. يوجد هنا أكثر من مائتى
طبيب وموظف من كل جنسيات الأرض ، لكن الأخ
(شلبى) يرى أن الأمريكيين هم وسيلة الضغط

الوحيدة على هؤلاء الإرهابيين .. ولحد ما فإن كلامه
صحيح ..

وشعرت بغصة فى حلقى إذ تذكرت يوماً كنا
مثله .. وكاتت المرأة العربية التى كسر الروم أسناتها
فى (عمورية) تقول ذات الكلام .. فقط صاحت
(وامعتصماه) فإذا بجيش جرار يزحف ليثأر لها !
لم تثر كلمات (شلبى) غضب الميجور ، بل قال
باسمًا :

— « ثق يا سيدى أننا نعرف جيدًا خطورة
الموقف .. نحن لا نمزح ولا نتوقع أن يشد أحد
أذاننا .. وقد جئنا هنا وكل منا يشعر بطلقات رجال
(الكوماتدوز) تمزق صدره .. والآن هلا جلست من
فضلك ؟ »

ساد صمت رهيب ، ورحنا نصفى فى اهتمام
لكلماته التالية ..

★ ★ ★

١٩ أكتوبر عام ١٩٩٧

الساعة ١٢,٤٥

قال الميجور (بلاكلى) فى تودة :

- « كنت فى (إفريقيا) منذ أعوام طويلة .. كنت من رجال الكولونيل (سترلتج) الذين يتم استئجار جهودهم من شارع (سلون) فى (لندن) .. وكان ثمنى وقتها خمسة آلاف جنيه استرلينى .. إننى أعتبر نفسى عاملاً باليومية .. لكن أكثركم يستعمل تعبيراً أكثر حدة : مرتزق .. »

« نعم .. أنا مرتزق أبيع خبراتى القتالية لمن يدفع أكثر .. ولقد حاربت (لومومبا) فى (الكونغو) مع (تشومبى) .. كان (لومومبا) شاباً ثورياً مثقفاً لا يملك سوى إيمانه بوطنه ، بينما كان (تشومبى) يملك المال ويملك القدرة على استغلال أمثالى .. وكانت النتيجة محتومة : اعتقال (لومومبا) وجره بحبل فى عنقه فى شوارع (ليوبولدفيل) ، ثم إطلاق الرصاص عليه .. »

« بعد هذا عملت في (ليبيريا) و (زائير) ..
وتدريجياً صار عندي مجموعة من الخبراء في
الحرب ، وحرب العصابات بالذات .. »
« لقد اصططحوا على تسميتي (الميجور) ،
وتسمية رجالي (الفصيحة) ، وعشنا نتنقل من بلد
لآخر .. »

« في عام ١٩٩٤ نشبت خلافات على الحدود بين
(نيجيريا) و (الكامبيرون) ، وسبب الخلاف هو
شبه جزيرة (باكاسي) الغنية بالبترول ، وهي مصدر
قلائل دائم بين البلدين^(*) .. »

« ولم يكن ممكناً أن نغيب عن الصورة .. لقد
وصلنا إلى (نيجيريا) أنا ورجالي - وكان عددهم آنئذ
أربعين - وعرضنا خدماتنا على الحكومة هناك .. »
« إن من يتابعون السياسة منكم ينكرون أن محكمة
العدل الدولية أصدرت حكمها بحق (الكامبيرون) في
(باكاسي) .. »

« إلا أن هجومًا نيجيريًا مباغتًا عبر الحدود في

(*) كل ما يقال في (سافاري) حقيقي ، ما لم نقل غير هذا .

العاشر من سبتمبر من العام ذاته ، واحتل شبه
الجزيرة ، وقتل عشرة جنود من الكامبيرونيين .. »
« حسن .. كان هذا الهجوم من تخطيط وإدارة
خادمكم المطيع (بلاكلى) .. »

« وفى العامين التاليين بدا أن حكومة (نيجيريا)
قد ضاقت بنا .. إن المرتزقة عبء على أية حكومة ،
وخطر داهم دائم .. »

« لهذا قرروا طردنا .. والمشكلة هي أن (إفريقيا)
قد صارت أضيق من اللازم بالنسبة لنا ، ولم يعد
وجودنا مرغوباً فيه فى أكثر بلدان القارة ، ودعونى
أصارحكم بأننا لم نعد نعرف وجهة نقصدها .. »

« هنا قررنا أن ندخل (الكامبيرون) وأن نمارس
لعبة القرصنة الدولية الشهيرة .. ادفعوا حتى
لا يموت رعاياكم .. »

« إن وحدة (سافارى) تتمتع بمزايا عديدة ، فهي
قريبة نوعاً من الحدود النيجيرية ، ومسالمة لا تملك
وسائل دفاع ، وبها من الجنسيات ما يزرى ببرج
(بابل) ذاته .. أى أن أمر طاقمها يهم العالم
كله .. »

« لقد احتلنا الوحدة كما ترون ، ورسالتنا للحكومة
الكاميرونية واضحة محددة ، وسوف تصل للعالم كله
خلال ساعات : نريد طائرة تنقلنا إلى (أمريكا
الجنوبية) وعشرة ملايين جنيه إسترليني ، وسوف
تعم السعادة الجميع ونقتصد في ذخائرنا .. »

صاح (شلبي) من جديد :
- « لا أحد يقبل الخضوع للقرصنة ! »

ابتسم الميجور وقال دون أن ينظر لـ (شلبي) :
- « سيكون هذا من سوء حظكم حقاً ! إنني أسألكم
أن تتأملوا رجالي .. هل ترون ؟ هم مجموعة من الذئاب
الشرسة أسيطر أنا نفسي عليها بصعوبة بالغة ..
فكيف يكون حالكم لو غضبت هذه الذئاب ؟ كيف يكون
لو أنني تركت لها العنان ؟ ! »

- « هل تهددنا ؟ »

- « بالطبع يا سيدي أهددكم .. لا يوجد وصف
آخر لما أقوله .. »

ثم اعتدل في وقفته بصعوبة ، وقال :

- « هل لديكم أسئلة ؟ »

★ ★ ★

١٩ أكتوبر عام ١٩٩٢

الساعة ٢, ١٥ بعد الظهر

كنت فى المعمل مع (هيلجا) مستمرين فى العمل ،
بينما الأخ (جيمس ماكجراث) الزنجى يجلس كعادته
جوار الباب بمدفعه .

سمعت صوت خطوات أنثوية ، ثم دخلت (برنادت)
حاملة - كعادتها - بعض الشرائح التى تريد رأى
(هيلجا) فيها ..

فما إن رأيتها حتى سقط قلبى فى قدمى .. إذن
الحمقاء لم ترحل إلى (ياوندى) بعد ... ويا له من
تأخير غير مناسب فى وقت غير مناسب ..

كنت - وسط هذا الحصار - راضيا مسرورا ؛ لأنها
بعيدة فى الغالب عن كل هذا ، وبمنطق (بوذا) الذى
ليس لديه أغنام ولا مال .. فلتزأر العاصفة إذن ..

أما الآن فقد أضافت همًا حقيقيا ملموسًا إلى
همومى .. لقد صار لدى هنا ما أخاف عليه حقًا ..

- « ألم تسافري بعد ؟ »

- « نعم .. وكيف أفعل دون أن أودعك ؟ »
كانت شاحبة قليلاً مرهقة الأعصاب بفعل الجو
المتوتر حولنا ، لكنها تحاول التظاهر بالمرح ..
قالت لي :

- « تبدو غير سعيد جداً برؤيتي .. »

- « لو أردت الدقة .. أنا تعص لرؤيتك .. »

هزت رأسها ، فهي أنثى ذكية تفهم على الفور
ما تريد قوله ، ولا تسأل أسئلة نمطية على غرار
(لماذا تشعر بتعاسة لرؤيتي ؟) أو (آسفة ..
سأحاول أن أغيب عنك حالاً) .. إلى آخر هذا
الهراء ..

ناولت الأنابيب والشرائح للدكتورة (هيلجا) ،
وراحت تشرح لها في عبارات سريعة ملخصاً لكل
حالة ..

في هذه اللحظة اختلست نظرة إلى (ماكجراث) ،
فوجدت ما أخشاه .. كان يرمق (برنات) بنظرة
طويلة لزجة وقحة ، وقد تدلت شفته السفلى
الغليظة ..



فى هذه اللحظة اختلست نظرة إلى (ماكجراث) ، فوجدت
ما أخشاه .. كان يرمق (برنادت) بنظرة طويلة لزجة وقحة ..

هذا هو ما أخشاه ، وأشعر بخنجر يمزق صدرى
حين أراه .. لن يلبث هؤلاء الأوغاد أن يلاحظوا أن
طبيبة الأطفال هذه أجمل من اللزم .. لكن لو ضايقها
أحد فلا مناص من الصدام .. والصدام نتیجته الوحيدة
هى جثة شاب مصرى ملتج اخترقت رصاصة
رأسه .. لكنه ما باليد حيلة .. لا أرى الأمر على
ضوء آخر ..

قلت لها وأنا أمسك بساعدها :

- « هل لى أن أوصلك إلى ؟ »

- « إلى غرفتى .. فقد انتهت فترة عملى .. »

- « ليكن »

واستكرت إلى الزنجرى العملاق ، وطلبت منه الإذن
لبضع دقائق ، فهز رأسه أن اذهب .. هذه المرة
لم أطلب إذن (هيلجا) لأنها لم تعد الجالسة وراء
عجلة القيادة ..

وأمام عينيه الوقحتين غادرنا المعمل ، متجهين إلى
الضلع القصير من حرف (L) الذى هو مبنى
(سافارى) ..

رباه ! لم أحسب الأمور بهذا السوء قط ..

كانت أبواب (سافارى) الرئيسية المفتوحة على الدوام مغلقة كلها بإحكام ، ووراء كل باب كان (مترليوز) تم نصبه لتواجه فوهته الفتحة ، ويبدو أن الباب ذاته ملغم ..

وفى كل مكان كان هؤلاء القوم يجولون ، وقد ارتدوا ثياب حرب شبه كاملة ، وتدججوا بالسلاح ليظهروا على حقيقتهم : قراصنة لا أكثر ..

كان أكثرهم يحمل أجهزة (ووكى - توكى) صغيرة للاتصال والتنسيق فيما بينهم ، لكنى لم أستطع فهم خطتهم بعد .. المفترض أن يجمعونا فى مكان واحد ليضمنوا السيطرة علينا لو حدث هجوم من الخارج .. إنهم يتصرفون بثقة واطمئنان أكثر من اللازم .. سألت (برنات) :

- « هل من أخبار جديدة ؟ »

قالت وهى مستمرة فى السير :

- « لقد أرسل المدير إلى (ياوندى) ، وإلى

(أنجاوانديرى) يخبرهم بالهجوم .. ويبدو أن القوات فى طريقها للوصول إلى هنا الآن .. »

- « وأين زعيم هؤلاء ؟ »

- « لقد اتخذ لنفسه مركزاً للقيادة .. هو مكتب
المدير ، والبروفسور معه هناك لتذليل العقبات
الفنية .. »

- « أى أن (سافارى) تحت سيطرة عسكري
شرير وطبيب معدوم الحيلة .. »
- « بالضبط .. »

- « كنا نمر الآن أمام عيادة أمراض النساء
والتوليد ، حين سمعنا صياحا غاضبا ، ورأينا ذلك
الأمريكي ذا الشعر المعقوص والوشم - يبدو أن اسمه
كان (جالاجر) - يخرج ، وعلى وجهه ضحكة صفراء ،
ومن خلفه برزت الصينية د. (ماى فاى لين) وهى
لا تكف عن إطلاق الشتائم الصينية التى لا يفهمها
أحد ، وفى النهاية صاحت بفرنسيته الرديئة :
- « أنت لن تدخل عيادتى هذه .. لا .. لا .. رصاص
نعم .. عيادة لا ! »

ابتسم الرجل الذى يحمل علامة (سان فرانسيسكو) ،
وتحسس المسدس فى خصره ، وغمغم :
- « الأوامر هى الأوامر يا دكتورة .. ولا دخل
للحياء هنا .. »

- « هنا أدركت أنني كنت مصيباً حين حدثت أنه يفهم الفرنسية .. لقد قال عبارته الأخيرة بها .. »
لكن (ماي - فاي - لين) كانت على استعداد للموت في مكانها على أن تسمح لهذا الإرهابي بالبقاء في عيادتها ، وكان صياحها الغاضب يدوي بلفتها التي لها رنين الأجراس ، ورأيت الفتى عاجزاً عن اتخاذ قرار صائب .. هل يقتلها الآن .. أم يقطعها تدريجياً ؟

- « ماذا عندك يا (جالاجر) ؟ »
كان هذا الصوت الهادئ المهيّب هو صوت (بلاكلي) ، الذي جاء لا أدرى من أين ، وهو يستند على عكازه ، ومسدسه في يده الحرة ..

قال (جالاجر) وهو يبصق على الأرض :
- « الصينية الحمقاء يا ريس .. لا تريد أن أربط في عيادة النساء والولادة كما أمرتني .. »

- « لقد سألتك أن تربط على الباب لا بالداخل ، ومن الطبيعي أن تنور الطيبة لهذا .. »

ثم مدّ يده الممسكة بالمسدس فوضع راحته على قذال الرجل ، كأنما ينصح طفلاً شقيئاً ، وضاعطاً على كلماته قال :

- « تَذَكَّرْ يَا (جالاجر) .. لقد رأيت الكثير .. لكن
دعني أقل لك نصيحة مهمة .. قد يخشاك الناس وقد
يهابونك .. لكن هناك شيئين يجعلان الناس يثورون
ضدك ، ولا يبالون بالموت .. هذان الشيئان هما
الدين وحرمة النساء .. إياك أن تدنو منهما إذا أردت
أن تظل مهيباً مطاعاً ، فلا يحاول أحد التمرد على
سلطتك .. الدين وماذا ؟ »

وبفوهة المسدس صفعه على مؤخر رأسه صفعة
خفيفة ، ليلقته الدرس .. :
- « الدين وماذا ؟ »

دون أن يبعد عنه (جالاجر) عينيه الوقحتين ،
قال :

- « وحرمة النساء .. »

- « استدار (بلاكلى) إلى الدكتورة الصينية التى
لم تفهم حرفاً مما يقال ، وبالفرنسية قال لها وهو
يحنى رأسه فى أدب :

- « نعتذر يا سيدتى عن هذا الخطأ ، ونعد
ألا يتكرر .. »

ومن جديد راح عكازه يضرب الأرض مبتعداً ..

★ ★ ★

١٩ أكتوبر عام ١٩٩٧

الساعة ٣,٠٠ بعد الظهر

أوصلت (برنات) إلى حجرتها ، وأوصيتها مرارًا
بألا تغادرها تحت أية ظروف .. أنا أعرف كل شيء
عن فضولهن الأحمق .. ولنسبب لا تدريه هي نفسها
سوف تغادر حجرتها لعمل شيء لا يحتاج أحد إليه ،
وهكذا تلقى حنقها .. هكذا يتصرفن جميعهن .. تصاعد
الدم إلى رأسي حنقًا عليها لهذا التصرف الذي
لم تفعله بعد ، لكنها ستفعله حتمًا ، وقلت لها في غل :
- « لو خرجت من هذه الغرفة سأهشم عنقك على
ركبتى ! »

وتركتها قبل أن ترد أو تقول شيئًا على غرار
(وما شأنك بي ؟) أو (مالكش حكم على) لو كانت
تعرف العامية المصرية .

وحتى في هذا المكان كان هناك مسلح يحمل بندقية
آلية .. إنه (إيمري) الملتحي الأسترالي أول من
عرفت من هؤلاء القوم ..

كان يجوب الردهة ، ويرمق كل شيء دون كلام ..
وخطر لى أنه من الممكن أن أنقض عليه و (بسام)
لتجرده من سلاحه .. لكن ماذا بعد ذلك ؟ وماذا
عن تسعة وعشرين جنديًا محترفًا يملأون وحدة
(سافارى) ؟

لا حل سوى انتظار النجدة من الخارج ..

وعند مكاتب الإدارة لمحت صخبًا ، وحشدًا من
الأطباء اختلطوا بالجنود وكلهم ينظر خارج النوافذ
الزجاجية التى تحتل الجدار الشرقى بأكمله ، ويلوح
كما لو كان هناك سيرك بالخارج ..

الحق أنه كان سيركًا من نوع خاص ..

دنوت من الزجاج فلمحت طائرة هليكوبتر دائية
جداً ، حتى كان بوسعى أن أرى راكبيها ، وكان
أحدهم يرمقنا من عدسات منظار ميدان ، وعلى
الطائرة الحروف الأولى من (السلاح الجوى
الكاميرونى) ..

دارت حول المبنى ثم ابتعدت ، واستطعت أن أرى
فى المساحة المحيطة بـ (سافارى) جيشًا كاملاً من

العربات نصف المجنزرة ، وسيارات (الجيب) ،
والجنود الذين انتشروا بشكل عالى الاحترافية فى
المنطقة كلها ..

لقد جاءت القوات المسلحة الكاميرونية كلها إلى
هذا المكان ..

كان المشهد رهيباً ، ولهذا فهمت سر العصبية الزائدة
التي تحركت بها تفاحة (آدم) فى عنق ذلك الفرنسى
ذى الشارب ، الذى كان يتولى مهمة الترجمة ، عندما
قتل رجل الأمن .

فهمت كذلك لماذا أصدر (جاك) الأسترالى أمره
للأطباء بالابتعاد عن النوافذ .. ولماذا أصدره بتلك
العصبية الوحشية وهو يصوب مدفعه إليهم .. إنها
لحظة متوقعة .. لكنها هزت أعصابهم إلى حد ما ..

رأيت د . (بارتلييه) قائماً يتدحرج من مكتبه ،
وجواره (آرثر بلاكللى) يتواثب على عكازه ، وكان
الأول ممتقع الوجه كعادته وإن حاول التظاهر
بالوقار .. وهى من اللحظات القليلة التى سررت فيها
لأننى لا أحمل مسئولية أحد سواى .. إن المدير
شجرة بينم نحن حشائش تحيط بها .. وحين تجيء

العواصف والأعاصير تقتلع الأشجار بسهولة تامة
بينما تظل الحشائش في خير حال ..

- « ابتعدوا عن النوافذ يا أولاد ، وليعد كل إلى
عمله .. »

قالها لنا المدير بلهجة الأب الذي يعرف أكثر .. ثم
التفت عيناه بعيني فمدّ يده لى :

- « تعال يا (علاء) معي ! »

لحقت به متردداً .. ماذا يريد مني بالضبط ؟

- « سنقابل هؤلاء القوم ونخبرهم بشروط
مختطفينا ! »

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

١٩ أكتوبر عام ١٩٩٧

الساعة ٣,٢٠ مساءً

فى الغالب ألف القارئ هذا المشهد المكرر ،
لهذا لن أصفه بدقة مكثفياً بالنقاط الأساسية ..
لقد فتح لنا المرتزقة البوابة ، وخرجنا - أنا
و (بارتلييه) - بينما وقف (بلاكلى) وراء الباب
متحفزاً مع اثنين من رجاله ، وكانت هناك مائتا
بندقية تقريباً مصوبة لنا بانتظار رد فعلنا .. أى أن
الجيش الكاميرونى كله كان يهدد وجوهنا بينما
المرتزقة يهددون ظهورنا ..
شرح (بارتلييه) لضابط أسود صارم الوجه الموقف
بالداخل ، وقال : إنه لا يضمن سلامة الطاقم ، وإنه
راغب فى الاستجابة لمطالب القراصنة ..
وفهمت من الحديث أن المفاوضات كانت جارية
طيلة الوقت بالهاتف فى مكتب المدير ، وأن وزير
الداخلية ووزير الحربية ووزير الصحة الكاميرونيين

كلهم مقحمون في الموضوع ، كما أن هناك محاولات
عدة من السفير الأمريكي والسفير البريطاني .. لكن
هذا لم يزد الخاطفين إلا عناداً ..

هذا الشيء لن يدهشني .. لقد أحرق هؤلاء القوم
سفنهم خلفهم ، ولم يعد أمامهم مجال للتراجع ، ولو
كنت مكانهم لما تراجع قط ..

تساءل الضابط الكاميروني :

- « هل هناك فترة معينة لتنفيذ مطالبهم ؟ »

- « التاسعة مساءً .. وبعدها يشرعون في قتل
الرهائن .. هذه هي تقاليد الإرهاب الدولي ، وهم
ملتزمون بها .. »

فكر الضابط قليلاً ، ثم صافح البروفسور في
حرارة :

- « يمكنكم العودة الآن ، ولا تقلقوا ستكونون
بخير .. »

مهموماً نسّ البروفسور (بارتلييه) يديه في جيب معطفه
الأبيض ، واستدار عائداً بعد ما أشار لي كي ألحق به ..
واجتزنا البوابة من جديد ، فسرعان ما انغلقت
خلفنا ..

★ ★ ★

قال الميجور (بلاكلى) وهو يثب بعكازه :

- « أحسنت يا بروفسور .. ولا كلمة زائدة على ما اتفقنا عليه .. والآن مرهم أن يحضروا بعض الطعام لرجالى .. فهم لم يذوقوا طعمه منذ وقت طويل .. »
- « ليكن .. لكنى أرجو لو سمحت لى بدخول الحمام .. »

- « هذا حقك البشرى .. »

ودهشت لأن (بارتلييه) ظل متأبطاً نراعى ، حتى وهو يتجه إلى مكتبه .. كان (تشارلز إيمرى) الأسترالى جالساً هناك جوار جهاز الهاتف والفاكس بانتظار أخبار جديدة إلى أن يعود قائده .. ولم يقل شيئاً عندما فتح المدير باب الحمام الملحق بحجرتة ، وجذبني من نراعى ..

« هلم يا (علاء) .. يمكنك أن تغسل وجهك ، ثم نتكلم بعدها .. »

أنا أدرك أنه فى حالة توتر نفسى وعاطفى ، يحتاج معه إلى من يبقى دانياً منه طيلة الوقت .. لكن حماسى للمشاركة الإنسانية لن يصل لدخول الحمام معه طبقاً ..

إلا أن نظرة عينيه جعلتني أخرس .. يريد أن
يخبرني بشيء على انفراد ..

ودخلنا الحمام معاً .. فاتجهت أنا إلى حوض
الغسيل لأغسل وجهي من كل العرق والتوتر ، بينما
أدار هو ظهره ، وشعرت بشيء يوضع في جيب
معطفي ، ثم اختفى داخل دورة المياه ..

بعد دقائق سمعت صوت المياه في صندوق الطرد ،
وخرج .. وهمس وهو يمر بجواري ..

- « اقرأ ما في الورقة ، وحاول تمرير ما بها سرّاً
على زملائك .. »

إذن ما دسه في جيبى هو ورقة .. وفي الغالب
أعطاه إياها ذلك الضابط الكاميروني عندما صافحه
بحرارة لا داعي لها ..

« وهكذا غادرت مكتب المدير بعد ما شكرته على
المتعة التي شعرت بها في دورة المياه الخاصة به ،
واتجهت إلى غرفتي متظاهراً أنني لا أبالي بكل فوهات
المدافع المصوبة في كل اتجاه .. »

أغلقت الباب على ، وفتحت الوريقة الموجودة في
جيبى ، وقلبي يثب في صدري .. كانت مكتوبة بخط
جميل وبالفرنسية ..

« تشجعوا .. »

« هناك فرقة (كوماندوز) إنجليزية يقودها
البريجادير (ريتشارد جيوفري) ، قادمة إلى (أنجا
وانديرى) جواً ، وهى فرقة مختصة بإطلاق سراح
الرهائن .. يتم الإنزال بالهليكوبتر فوق سطح الوحدة
فى تمام الخامسة مساءً . مطلوب إبعاد الإرهابيين
عن مراقبة السطح فى ذلك الوقت .. يمكن إحداث
شغب أو فوضى لتشتت انتباههم .. »

قرأت الورقة مرتين .. ثم مزقتها إرباً وألقيت بها
فى القمامة .. أنا أعرف فرق مكافحة الإرهاب الدولية
هذه ، ولا بد أن حكومة (الكامبيرون) استأجرت
أفضلها لتتحاشى الحرج أمام العالم ، وحتى لا تخاطر
بتدخل الجيش الكامبيرونى فتقع دماؤنا على رأسها لو
حدث شيء ..

لكن الكلام هين .. كيف يمكن تمرير هذه الرسالة
وإحداث الشغب المطلوب دون خسائر مادية
أو بشرية ؟

بل - والأدهى - كيف أفعل أنا هذا كله ؟

★ ★ ★

١٩ أكتوبر عام ١٩٩٧

الساعة ٣,٤٠ مساءً

نزلت إلى الكافتيريا لأتناول غدائي ، وكانت
مزدحمة بالأطباء ، لكن بها عددًا لا بأس به من
الإرهابيين طبعًا ، وكلهم شاهر سلاحه ..
دنوت لأضع في صحتي بعض الطعام ، ولاحظت
أن رجال القصيلة ينتظرون في أدب حتى نأكل نحن ..
ثم فطنت إلى أن هذا ليس تأديبًا بل هو احتياط ، علنا
نسسنا لهم في الطعام مخدرًا ما ..
جلست جوار (بسام) والبروفسور الإيطالي العظيم
(كارلو سباتزاني) و (بيير) طبيب العناية المركزة ..
إن (سباتزاني) - طبعًا - لا يقيم في (سافاري) بل
في فيلا فاخرة قرب (باتوري) ، لكن أحدًا لن يعود
لداره طبعًا حتى تنتهي هذه الكارثة ..
رحنا نأكل في صمت .. كان التوتر يقهر كل رغبة
في تبادل الكلام .. إلا أنني كنت مسرورًا ؛ لأنني جالس

على مائدة طعام واحدة مع (سباتزاتى) .. بشكل ما
أشعر أننى فى ذات عالمه .. رباه ! لقد كنت منبهراً
بهذا الرجل اتبهار مراهقة خرقاء بمطرب الشباب
الأول ، وكنت أدهش بحق كلما رأيته يأكل أو يشرب
أو يتمخط فى منديله ..

قلت لهم فى هدوء بعد ما تلفتُ حولى :

- « ثمة خبر لا بأس به .. إن البريطانيين قادمون
لإنقاذنا .. فرقة بريطانية محمولة جواً ستحاول
النزول على سطح البناية .. »

بصوته الكفيل بإيقاظ الموتى صاح (سباتزاتى) :

- « من ؟ بريطانيون ؟ »

همست وقد انتصب شعري ذعراً :

- « بروفيسور ! هذا سرّ يساوى حياتنا ذاتها ،

ولا أحب أن تضيعه فى مكبر الصوت .. إنهم يسمونها :

(فرقة البريجادير جيوفرى) .. »

ثم همست بعد ما أعدت التلفت حولى :

- « الموعد هو الخامسة مساءً .. على كل منكم

أن يخبر أكبر عدد ممكن .. وعليّنا إحداث ضوضاء

مناسبة فى هذا الوقت .. »

- « ضوضاء ؟ مثل ماذا ؟ »

كدت أصارحه أنه يكفيهِ أن يتكلم لتكون ضوضاء كافية .. هؤلاء الإيطاليون لا يعرفون معنى الهمس أبدًا .

قلت وفي عيني بعض اللوم :

- « أعتقد أن الحريق هو الصيغة الأنسب .. هل

يمكن لـ (بسام) أن يشعل نارًا في المخزن ؟ »

ابتسم (بسام) :

- « ولماذا أنا بالذات ؟ »

- « لأنك تعمل اليوم في قسم الأشعة ، وهو مجاور

للمخزن .. لن يكون اختفاؤك مثيرًا للشكوك ولبضع دقائق ..

- « ليكون .. بعض البنزين وعود ثقاب .. »

- « توكلنا على الله .. ستفعل ذلك في الخامسة

إلا الربع .. ولنعمل على أن يصاب كل الأطباء بالذعر

في الخامسة بالضبط .. سيكون كثير من الدخان

ورائحة الشياطين ، وسوف تعمل أجهزة الإنذار ضد

الحريق .. هذا كافٍ .. مروروا هذه الرسالة .. »

ثم نهضت ، باحثًا عن آخرين أخبرهم بالشيء ذاته ..

★ ★ ★

ثالث الفصول

ويجئ عن محاولات النجاة

وأكثرها بلا جدوى

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

١٩ أكتوبر عام ١٩٩٧

الساعة ٤,٣٠ مساءً

اتجهت إلى مكتب المدير لأعطيهِ (التمام) من طرف خفى .. الغريب هنا أنه آخر من يعلم بما اتفقنا عليه ، فهو حتى لم يقرأ الورقة التي أعطاها لي ، ولكنه استنتج محتواها دون جهد ، فلا بد أن هناك من لمَح له هاتفياً بذلك ..

لم يكن المدير هناك .. أخبرتنى بهذا السكرتيرة الحسنة ، وكان بابها مغلقاً .. فاستطعت أن أرى (بلاكلى) جالسا هناك خلف المكتب ، يمسك سماعة الهاتف ، و (إيـمـرى) قد أزاح ساقيه بدوره على المكتب وراح يدخن ويتكلم ..

لم يكن من داع إذن للدخول ..

- « وأين ذهب ؟ »

- « لقد سمحوا له بالقيام بجولة في الوحدة .. »

« هنا انفتح الباب الموارب أكثر ليبرز لي وجهه

أَمَقَّتْهُ بِشَكْلِ خَاصٍ .. (ديفيد ليفي) طَبِيبُ الْعَيُونِ
الْإِسْرَائِيلِيِّ .. خَرَجَ مَارًّا بِى فَهَزَّ رَأْسَهُ بِمَا يَعْنَى
التَّحِيَّةَ أَوْ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ، وَغَادَرَ غُرْفَةَ
السَّكْرَتِيرَةِ .. »

— « مَاذَا يَفْعَلُ هَذَا هُنَا ؟ »

قَالَتْ وَهِيَ تَخْرُجُ طَلَاءَ الْأُظْفَارِ مِنْ حَقِيبَتِهَا :

— « نَفْسٌ مَا تَفْعَلُهُ أَنْتَ هُنَا .. يَتَلَقَّى التَّعْلِيمَاتِ

أَوْ يَشْكُو مَضَايِقَهُ مَا .. »

وَبِدَقَّةٍ قَامَتْ بِطَلَاءِ ظَفْرَيْنِ ، ثُمَّ فَرَدَتْ يَدَهَا فِي

الضَّوءِ تَتَأَمَّلُهُمَا :

— « مَا رَأَيْكَ ؟ هَلْ هِيَ نَفْسُ الدَّرَجَةِ ؟ »

قَالَتْ لَهَا مَا مَعْنَاهُ (نَاسٌ فَائِقَةٌ وَنَاسٌ رَائِقَةٌ) ،

وَابْنِي سَعِيدٌ حَقًّا ، لِأَنَّهَا تَجِدُ السَّعَةَ النَّفْسِيَّةَ لِلتَّجْمِيلِ

فِي ظُرُوفِ كَهَذِهِ ، وَأَرْدَفَتْ :

— « لَيْسَ مِنْ مَصْلَحَتِكَ كَذَلِكَ أَنْ يَرَاكَ هَؤُلَاءِ

الْأَوْغَادَ جَمِيلَةً .. إِنْ الْأَمْهَاتُ فِي (رُوسِيَا) كُنَّ

يَلُوثْنَ وَجُوهَ بَنَاتِهِنَّ بِرُوثِ الْمَاشِيَةِ حِينَمَا يَدْخُلُ

النَّازِيُّونَ قَرَاهِمَ .. »

هَزَّتْ يَدَهَا مَرَارًا وَنَفَخَتْهَا لِيَجْفَ الطَّلَاءُ سَرِيعًا ،

وَقَالَتْ :

- « معك بعض الحق .. لقد حاول ذلك الوغد
الملتحي مضايقتي ، لكن الميجور (بلاكلى) صارم
جداً ، ورجاله يخشونه حقاً .. الحق إنه رجل قوى .. »
هزرت رأسى موافقاً :

- « لكنه للأسف فى المعسكر الخطأ ، ولن ينتهى
اليوم قبل أن يموت هو أو نحن .. لكنى أرتجف هلعاً
لفكرة أن يموت هو ويترك رجاله أحراراً !
ثم هزرت رأسى للمرة الثانية ، بمعنى أتنى راغب
فى الرحيل ..

هنا سمعت الميجور (بلاكلى) ينادينى من مكتب
المدير :

- « هيه يا دكتور .. هلا جئت لحظة ؟ »
ابتلعت ريقى ، ودخلت المكتب .. رأيت (بلاكلى)
قد وضع ساقه المصابة بالـ (غنغرينا) على مقعد
أمامه وفك أربطتها ، ولم تكن الرائحة محببة على
الإطلاق كما قلت ..

هنا هتف الأسترالى (إيمرى) فى شراسة ، وقد
ثبت عينيه على وجهى :

- « فيم كنت تتحدث مع السكرتيرة ؟ »

تأوه الميجور بصوت عال ، وقال ضارباً على كتف
(إيمرى) :

- « كف عن هذه التفاهات يا (تشارلز) .. والآن
يا دكتور لقد قمت بتضميد ساقى ببراعة أمس ، وأنا
راغب فى تضميدها الآن .. هلا طلبت لوازم التطهير
والتضميد ؟ »

ثم أشار إلى (إيمرى) إشارة ذات معنى ، وقال :
- « وأنت .. تحرك سريعاً .. كنكم يعرف ما ينبغى
عمله .. »

تناول (إيمرى) بندقيته الآلية من على المكتب ،
ودس خنجرًا فى ربطة ساقه ، ثم غادر المكان على
الفور ، تاركاً إياى مع الميجور ..
وطلبت من السكرتيرة أن تتصل بقسم الجراحة ،
لإرسال من يحضر الضمادات المعقمة لى فى مكتب
المدير .. وقد كان ..

ورحت أظهر الساق بشعة المنظر ، وسألته :
- « هل حقاً أصبت فى أحد فخاخ النمر كما قلت
أمس ؟ »

ابتسم والعرق يغمر جبينه ، وأشعل لفافة تبغ ،
وقال :



وراحت أظھر الساق بشعة المنظر ، وسألته :
- «هل حقاً أصيبت في أحد فخاخ النمرور كما قلت أمس ؟» ..

- « بالطبع لا .. إنه لغم أرضى .. لكن ما كان

بوسعى أن أقول هذا .. »

ثم سألتني من جديد :

- « هل ستشفى ؟ »

- « لا أظن .. »

- « قلت لي أمس إنها ستشفى .. »

- « كل كلامنا أمس كان كذبا من الطرفين ..

وكنت أنا طبيبا وأنت مريضا .. اليوم أنت قرصان

وأنا ضحية ، وقد زالت كل حواجز المجاملة بين

الطرفين .. دعني أقل لك يا سيدى إن هذه الساق

يجب أن تبتر وإلا هي نهايتك .. »

بدا مستمتعا بهذه المحادثة .. ابتسامة شاعت على

وجهه ، وساد الصمت برهة .. ثم سألته وقد خيل لي

لحظة أنني أسمع طلقة رصاص من تحت :

- « متزوج ؟ »

- « كثيرا جدا ! تزوجت مرتين فى وطنى ، ثم

تزوجت ثلاث مرات فى (إفريقيا) .. زوجتى الأخيرة

كونغولية لا أعرف عنها شيئا منذ زمن .. وأنت ؟ »

- « ليس بعد .. »

- « إذن لا تفعل أبداً .. إن لأطفالك القادمين عليك حقاً ، وحقهم هو ألا تأتي بهم إلى هذا العالم القاسى ! »

وابتسم من جديد فى مرارة ، بينما فرغت أنا من تضميد الجرح .. سألته :

- « ميجور .. هل حقاً لديك أدنى أمل فى نجاح محاولتكم هذه ؟ »

فقد بدا لى مستحيلاً أن تجئ طائرة تحمل هؤلاء إلى مطار (دوالا) ، ثم يودعونهم ، ويعطون (بلاكلى) مظلوماً به عشرة ملايين من الجنيهات .. كل شيء قد يحدث إلا هذا ..

قال وهو يشعل لفافة تبغ ثانية من بقايا الأولى :
- « يبدو الأمر خيالياً .. هه ؟ لكنى قد رأيت صفقات كثيرة فى حياتى ، ولم تكن هذه أغربها ، سيرضخون لنا .. ثقى فى هذا .. سيتعلمون درساً قاسياً .. »

ونظرت إلى ساعتى ..
الآن هى الخامسة مساءً بالضبط ..
لقد حان الوقت إذن .. وسرعان ما بدأت أصوات الانفجارات ..

★ ★ ★

الأربعاء ١٩ أكتوبر

الساعة ٥,٠٠ مساءً

ارتجّ المبنى كله لصوت انفجار عظيم مروّع ، حتى
إن مقعدى ترشح قليلاً .. وتهشم زجاج النافذة ..
نظرت إلى الميجور فوجدته جالساً بذات الهدوء ،
يتأمل ساقه المضمّدة ..

وسمعت صوت طلقات من بندقية آلية .. وصوت
صراخ .. ثم امتلأ هواء الغرفة بالدخان ورائحة
البارود .. انفجاران .. بل ثلاثة ..

فى هدوء دون سرعة زائدة تناول الميجور جهاز
الـ (ووكى تووكى) الموضوع بجواره ، وطلب أحدهم ..
- « (جيمس) ؟ هنا (بلاكلى) .. كل شيء على
ما يرام ؟ حسن .. تعال لتقدم تقريرك الآن .. »

عند سماع هذا شعرت بعصر فى تنفسي ، وبأن ساقى
لم تعودا تتحملانى .. لقد حدث شيء ما خطأ ولكن ما هو ؟

بعد دقائق دخل الغرفة الزوجى العملاق (جيمس
ماكجراث) مسلحاً كالعادة ، ومن خلفه رأيت الفرنسى
ذا الشارب .. ثم (جالاجر) وهو يدفع شاباً جريخاً
تلوث كتف معطفه بالدم ، لكنه ما زال قادر على
المشى ..

- « (بسام) ! »

ونَهَضت مسرعاً إلى صديقى التونسى ، فساعدته
على الجلوس فى وضع شبيه بالرقاد ، وأزلت الثياب
عن أعلى صدره .. كان كتفه ممزقاً بفعل رصاصة ،
لكنها لم تدمر شيئاً حيويًا على ما أظن .. اهدأ
يا بنى .. اهدأ ..

دون أن ينظر (بلاكلى) لرجاله سأل بصوت حازم :

- « تقريركم ؟ »

أدى الزوجى تحية عسكرية غير متقنة ربما هى
أقرب للمزاح ، وقال بصوته الغليظ :

- « تمام يا سيدي .. لقد فجرنا طائرة وأعطينا

الأخرى ، أما المداخل فقد فجرناها جميعاً ! »

- « أحسنتم صنعاً .. والآن عودوا لمراكزكم .. »

تساعل (جالاجر) وهو يشير لـ (بسام) :

- « وهذا ؟ ألن نقتله الآن ؟ »

- « لا داعي .. إنه عبرة للآخرين لا بأس بها ..

لقد نال جزاءه .. »

ثم أشار بدوره إليه :

- « يمكنكم اصطحابه إلى قسم الجراحة .. لكن

لا تؤذوه أكثر .. »

★ ★ ★

فما إن غادر هؤلاء الغرفة ، حتى صبحت متسائلاً :

- « بالله عليك ماذا يحدث هنا ؟ »

طوح بلفافة تبغّه إلى ركن الغرفة ، وقال باسمًا :

- « يحدث أن أصدقاءك فشلوا في مهمتهم ! »

وإذ رأى الذهول الغبي على وجهي قال :

- « لا تخش شيئاً .. إنني أعرف كل شيء عن هجوم

الساعة الخامسة تحت إشراف البريجادير (جيوفري) ،

وأعرف أن صديقك التونسي سيحاول إشعال حريق

لجذب الانتباه .. لقد كان (جالاجر) ينتظره في

المخزن ، ولم تكن مفاجأة سارة .. »

- « أما عن الهجوم فأنا أعرف البريجادير

(جيوفري) ككتاب مفتوح ، وهو رجل بارع ، لكنه

يتصرف بالأسلوب ذاته .. لا بد من هجوم بالهليوكوبتر
 من سطح البناية مع إنزال ، وهجوم من تحت ، عبر
 شبكة المجارى الخاصة بـ (سافارى) ، والتي لا بد
 أنه حصل على رسوماتها فى (أنجاوانديرى) .. «
 « فى البداية قاموا بتصوير المبنى والسطح
 من عدة جهات .. لكنهم لم يروا (الكاموفلاج)
 أو التمويه الذى قمنا بعمله ببراعة على السطح ،
 وتحت داريننا ثلاثة مدافع (بازوكا) وخمسة من
 رجالنا .. وهكذا حين دنت طائرتاهم المستعدتان
 للإنزال ، استطاع رجالى إطلاق (البازوكا) من
 مسافة قريبة جداً .. لم يكن ثمة مجال للخطأ ،
 واحترقت الطائرتان بمن فيهما من رجال (كوماندوز)
 محترفين يساوون الملايين .. «
 « أما عن شبكة المجارى فقد تهيأتنا لإشعالها
 فى اللحظة المناسبة .. أغرقناها بالجازولين
 وأحكامنا غلقها ، وفى تمام الخامسة أسقط
 رجالى عدة قتال يدوية فى الفتحات لتتحول إلى
 جحيم .. »

« لو كان (جيوفرى) قد تصرف كعادته ، فأغلب
الظن أن رجاله قد تحولوا إلى شواء الآن .. »
« ولأمانة دعنى أصارحك أنه لو دخل رجل واحد
من هؤلاء إلى (سافارى) لاستطاع إحداث متاعب
جمة لنا .. هؤلاء الرجال محترفون حقاً ، ويعرفون
كيف يطلقون الطلقة على المجرم والرهينة معاً ، فلا
تصيب إلا المجرم ، وغالباً ما كانوا سيبدءون بهجوم
بالغاز المنوم .. هذا هو أسلوبهم المعتاد .. لن نعرف
أبداً .. »

وساد الصمت ..

لكن فوادي كان يخفق كالطبل رعباً وتوتراً ..
الحق إنه لمأزق مخيف ، للمرة الأولى أدرك أن
فرارنا لن يتم إلا بمعجزة ..

★ ★ ★

الأربعاء ١٩ أكتوبر

الساعة ٥,٤٥ مساءً

خرجت مببل الفكر من مكتب المدير ..

فبينما أنا ماش في الممر المؤدى إلى قسم الاستقبال ، رأيت المدير واقفاً مع (ليفى) يتحدثان فيما لم أستوعبه ..

إن المعجزات نادرة الحدوث ، وقد يكون (بلاكلى) بارعاً في عمله لكنه بالتأكيد لا يقرأ الأفكار ، ولو قرأها فلن يعرف اسم (جيوفرى) بالذات كونه يعرف هذا كله يدلّ بوضوح على وجود تسرب في المعلومات .. خيانة ..

أحدهم فعل هذا فمن ؟

أنا لم أر أحداً يكلم (بلاكلى) على انفراد إلا هذا ، وبعد ما غادر الغرفة قال (بلاكلى) لمن معه : تحرك سريعاً .. وهكذا - قبل أن أفهم أنا نفسى ما حدث - وثبت على (ليفى) بكل ثقلى فسقط أرضاً .. انتزعت

العوينات من على عينه ثم وجهت لرأسه (روسية)
رهيبة كالتى يتبادلها (الفتوات) فى السلخانة عندنا ..
وأنشبت مخالبى فى عنقه ، مضيقاً تأثيراً أفضل
بطرق مؤخرة رأسه بالأرض مراراً ، حتى إن لم
يختنق قتله الارتجاج ..

والغريب هنا أن الإرهابيين من رجال الفصيلة
احتشدوا حولنا .. شعرت بهذا .. لكنهم لم يتدخلوا بل
راحوا يضحكون ويصفرون مشجعين ..

كانت هذه طريقة التفاهم التى يفهمونها هم بين
رجلين ، ووجدوا فيها تسليّة لا بأس بها ، ولا بد أنهم
بدعوا المراهقات على من يموت أولاً ، لولا أن تدخل
(بارتلييه) ..

- « (علاء) ! »

وشعرت بيده المكتنزة على كتفى :

- « (علاء) ! لو لم تتركه حالاً اعتبر نفسك

مفصولاً .. »

كدت أقول له إبنى - كى أفصل - يجب أن أظل
حيّاً .. ثم خضعت للاحترام الواجب للسن والمركز ..
فتركت فريستى على الأرض ، ونهضت أرغى وأزبد
والهث كثيران المصارعة ..

- « هل جنتت ؟ »

وتحامل (ليفى) على نفسه ليجلس ، والدم يسيل
من أنفه ، وصاح فى جنون وهو يشير إلى :

- « بروفيسور (بارتلييه) .. أنت شاهدى على أن
هذا المخبول قد وصل لنهاية المسار .. »

قلت له فى اشمزاز :

- « أيها الواشى القذر ! أنا لم أنته منك بعد .. »

- « واش ؟! »

تساءل المدير فى عدم فهم ، فشرحت له القصة
كلها - بالفرنسية طبعاً وهمساً - وقلت بوضوح إننى
أتهم (ليفى) بإبلاغ المرتزقة بخطة الحكومة الكاميرونية
للافتحام .. ولماذا يفعل ؟ لأنه خسيس يا سيدى
وجبان ، ومن مصلحته أن يحسن أسهمه لدى
المرتزقة ، فإن فشل الهجوم كان له وضع خاص يحميه
من الإعدام ، وإن نجح فلن يصدق أحد حرفاً ..

صاح (ليفى) غاضباً بدوره :

- « هذا اتهام بلا أساس ، ولنسوف تدفع لى ثمن
إهانة كهذه .. »

قال المدير بدوره وهو يساعد الفتى على النهوض.

- « هذا صحيح يا (علاء) .. لقد كان هناك نحو مائة يعرفون السرّ ، فلماذا (ليفى) بالذات ؟ يجب أن ترتفع بعض الوقت فوق الخلافات المعروفة بينكما .. وعلى كل حال - وبشكل ما - يمكن القول إن من وشئ بهذه الوشاية قد جنبنا فقد المزيد من الأرواح ، فما كانت العملية لتتم ببساطة مع استعداد هؤلاء القوم وتدريبهم الجيد ! »
أما وقد وصلت الأمور إلى هذا الحد ؛ لم أر مناصاً من الانصراف .

لن أعرف أبداً ما إذا كان (ليفى) هو المسئول أم لا .. وبدقة أكثر لن أثبت هذا أبداً ..
لا يوجد الآن ما أفعله سوى العودة لحجرتى ، والانتظار ..

إنها السادسة والرابع الآن ، وأمامنا أقل من ثلاث ساعات قبل انتهاء المدة المحددة ..
ماذا سيحدث قبلها ؟

والأهم : ماذا سيحدث بعدها ؟
قبل أن أعود لغرفتي قررت أن أذهب لأطمئن على (بسام) فى قسم الجراحة .. كان الرجل الذى يضع عصابة على عينيه يقف جوار الباب يتفحص الداخلين بعينه الوحيدة السليمة .. ولم يعلق حين دخلت .

كان (بسام) فى فراشه الآن ، وقد جلس جواره
(سباتزائى) الإيطالى يمازحه ، وأدركت أنه هو من
اعتنى بالرصاصة .

قلت له وأنا أربت على ساقه :
- « آسف يا أخى .. لقد كنت أنا السبب المباشر
لما حدث .. »

- « لا عليك .. فيما بعد ذكرنى بأن أطلق الرصاص
على كتفك لتتساوى .. »

رأيت (سباتزائى) يملأ محقناً بالمضاد الحيوى ،
ثم يفرغه فى عروق (بسام) ، وجفف قطرة الدماء
بقطعة إسفنج صغيرة ، ونهض ..

- « لقد حان وقت نومى يا شباب .. لا توقظونى
إلا حينما يجىء دورى فى الإعدام .. »
- « لك هذا يا سيدى .. »

وودعت (بسام) بدورى عازماً على العودة إلى
غرفتى ..

وخطررت لى فكرة ما تجاهلتها على الفور ..
إنها شديدة التعقيد على كل حال ..

★ ★ ★

الأربعاء ١٩ أكتوبر

الساعة التاسعة مساءً

فى تمام التاسعة جاء صوت الموظفة عبر مكبرات الصوت يدعو طاقم (سافارى) إلى الاحتشاد فى قاعة (التيوتور) ، وهذه المرة تقلصت الأحشاء جميعاً ، وقد فهم الجميع معنى هذه الدعوة .

توجهنا إلى هناك متشاككين ، ورأيت المرتقة يفتحون غرفة تلو أخرى ، ويفتشون قاعة تلو قاعة ، كى يستوثقوا من أن أحداً لم يتخلف ما عدا المرضى طبعاً ..

وإذ احتشأنا هناك ، جاء المدير يتحرج وإن كانت دحرجته أقل حيوية من المعتاد ، وبدأ لى وجهه المهموم كجورب مقلوب بعد خلعه ، من كثرة ما فيه من تجاعيد .. بعد دقائق جاء الميجور (بلاكلى) بعكازه الشهير ، ولم يبدُ مسروراً أو راضياً ، وسمعته يصدر التعليمات لرجالہ :

- « هل كل شيء على ما يُرام على السطح ؟
فتحات التهوية .. الأبواب ؟ لا نريد قتابل غاز من
أية فتحة .. كم رجلاً عند السطح ؟ خمسة ؟ لا بأس ..
(إيمرى) ! من يراقب الهاتف ؟ (روجرز) ؟ حسن .. »
ثم وقف على المنصة وتأمل وجوهنا ، وبعد هنيهة
صمت ، قال فى هدوء وبالفرنسية :

- « كما ترون لم يبدو ما يشير إلى استجابة هؤلاء
القوم لنا .. ويبدو أن الوقت قد حان لاتباع وسائل
ضغط أقوى .. »

كان موقفاً قاسياً بحق .. لكن الأسوأ من قسوته
هو ما فيه من إهانة .. بأى حق يعتبرنا هؤلاء خرافاً
يجمعونها فى مكان واحد تمهيداً للذبح ؟ بحق
السلاح ؟ بمسدس رخيص يملكون حاضرننا
ومستقبلنا .. ولمجرد أنهم أمسكوا به أولاً ؟
واصل الميجور كلامه متظاهراً بالتأثر :

- « تأمل ألا يطول هذا الموقف ، وأن تتعقل
حكوماتكم بعض الشيء ، وحتى ذلك الحين لا نجد
مناصاً من البدء فى تنفيذ برنامجنا .. »

ثم أشار إلى موضع ما وسط الجالسين :

- « يمكنكم البدء بهذا ! »

★ ★ ★

للمرة الأولى فى حياتى رأيت إصبعًا يكتسب قوة صاعقة كاسحة كهذه ، حتى خيل إلى أن خطأ خفيًا من نار يخرج من الإصبع قاصدًا هدفه .. ورأيت المحيطين بالهدف يتحركون يمينًا ويسارًا وخلفًا ؛ حتى لا يلمسهم هذا الشعاع الملتهب ..

وتحسس أكثر من واحد صدره فى هلع :

- « أنا ؟ »

- « أنا ؟ »

- « أنا ؟ »

- « بل أنت ! الملتحى الذى يلبس رباط العنق ! »

وعرفت على الفور عن يتكلم .. (أرداش)
طبيب التخدير الإيرانى ، رأيت اثنين من الأوغاد يشقان الصفوف نحوه ، فيحملانه من إبطيه وهو عاجز تمامًا عن فهم ما يحدث .. وبرغمهم تنفس المحيطون به الصعداء .. فلم يصيبهم اللهب بعد لحسن الحظ ..

قال الميجور وهو يشعل لفافة تبغ :

- « فلتنها الأمر بسرعة فى الخارج .. بسرعة
ودون ألم ! »

وساد صمت رهيب بينما (آرداش) يعشى زائغ
العينين مرتبك الخطا بين الرجلين ، نحو خارج القاعة ..
صاح المدير بلهجة أقرب إلى البكاء :
- « أستحلفك بالله أن تتركه .. لا داعى لهذا
التمادى »

لم يعلق الميجور ، واستند إلى عكازه عازمًا على
الانصراف ، وعلى مكبر الصوت مال برأسه وقال :
- « ستبقون هنا جميعًا يا سادة ، وسيتم إطلاق
الرصاص على من يحاول الهرب أو يبدى تمردًا ..
الإعدام الثانى بعد ساعة من الآن ! »
وانصرف مبتعدًا ..

على حين سقط رأس البروفسور (بارتلييه) على
المنضدة ، فهو لم يعد يتحمله بعد هذا الجهد العصبى
كله ..

ساد صمت بليغ لم يقطعه إلا صوت دفعة قصيرة
بالمدافع الرشاشة قادمة من خارج البناية ، فتصاعدت



وساد صمت رهيب بينما (أرداش) يمشى زائف العينين مرتبك
الخطأ بين الرجلين ، نحو خارج القاعة ..

شهقات ، ودفنت بعض النسوة وجوههن فى أكفهن ..
كانت هذه أقصر وأشنع برقية تلقيتها فى حياتى ..

★ ★ ★

وفيما بعد عرفت أنهم فتحوا باب (سافارى)
الرئيسى ، وجروا الجثة جراً ليلقوها على الغبار ،
أمام مراسلى وكالات الأنباء المتزاحمين ، ووحدات
الجيش الكاميرونى العاجزة عن عمل شيء ..
ودون كلمة أخرى عادوا إلى البناية وأغلقوا
الباب ..

★ ★ ★

www.dvd4arab.com
Hany3H
www.dvd4arab.com

الأربعاء ١٩ أكتوبر

الساعة ٩ ، ٤٠ مساءً

لم يكن هناك ما نفعله سوى الانتظار ..
سمعت حفيف معطف بقربى ، ثم جلس شبح رقيق
بجوارى .. نظرت إلى (برنات) وخطر لى أن
ألومها على ترك غرفتها ، ثم أدركت أن هذا لم يكن
بيدها .. لا بد أنهم أرغموها إرغاماً ..

- « هاى (علاء) .. »

سألتها فى رفق وأنا أنظر لساعتي :

- « خائفة ؟ »

- « قليلاً .. إن قاعدة (يحدث للآخرين فقط)

ما زالت تؤدى عملها معى .. لكنى أمقت الجلوس هكذا

بانتظار مصيرى .. »

ابتسمت فى مرارة :

- « كل ما عليك هو النهوض والاتجاه للباب ،

وعندها تنتهى مشاكلك حالاً .. وعلى كل حال يوجد
احتمال واحد فى المائتين أن يتم اختيارك أنت فى
الساعة العاشرة ! »

- « بل هو واحد فى التسع والتسعين والمائة ..
إن النسبة لم تعد مطمئنة .. »

ثم تتأبى وقالت :

- « على كل حال أنا لا أخاف الموت ، لكنى أخاف
مقدماته .. »

- « إن من لا يخاف الموت هو إنسان واهن
الإيمان ، لا يعتقد بوجود حساب ، أو هو ببساطة
أحمق .. نوع من غرور الأطفال الذين يتباهون بطيلة
الوقت بأنهم لا يخافون الأسد ، وهم لا يعرفونه حقاً
ولا يفهمون خطره »

- « إذن أنت خائف ؟ »

- « جداً .. ولولا بقية من كبرياء لبكيت .. »

- « يا صغيرى العزيز .. ماذا فعلوا بك ؟ »

وامتدت يدها الباردة البللورية تربت على ظهر
يدى .. ساعتها شعرت حقيقة بأن البكاء ضرورة
حيوية لا غنى عنها .. إن البكاء كالعرق .. فلماذا
نمنع الرجل من أن يبكى ونسمح له بأن يعرق ؟ »

كانت عقارب الساعة تدنو من العاشرة .. الموعد
المرتقب للعبة (الروليت الروسى) الرهيبة ، وراح
المرتزقة يتهامسون ويشيرون إلينا .. لا بد أنهم
يعقدون الرهان حول الضحية التالية .. كانوا ينعمون
بوقتهم حقاً ..

هنا دخل (جيمس ماكجراث) القاعة وتقدم نحو
جهاز الميكروفون ، أمام العيون القلقة .. صوت
القرقة إذ يمسك بالجهاز ..
وبشفتيه الغليظتين قال :

- « دكتور (عبد العظيم) .. (علاء عبد العظيم) ..
أين هو ؟ ! »

سقط قلبي فى قدمي .. وانتابنى شعور بأن كل هذا
غير حقيقى ..

وشعرت بيد (برنات) تعتصر كفى حتى كادت
تسحقها ..

وسمعتها تهمس من وراء المجرات ..

- « تشجع يا صغيرى .. تشجع ! »

★ ★ ★

الأربعاء ١٩ أكتوبر
الساعة ١٠,٠٠ مساءً

فى صمت مشيت خلفه وسط العيون المتوجسة
أو المشفقة أو الفضولية أو التى شعرت بالراحة !
لا تزعجوا أنفسكم يا رفاق .. لا داعٍ للاهتمام الزائد ..
إبنى ذاهب إلى حيث يطلقون على الرصاص .. لا شيء
يستأهل كل هذه الضوضاء كما ترون .. ترى من
الذى سيقوم بإجراءات استلام جثتى فى المطار من
مندوب وزارة الخارجية ؟ أخى ؟ لا .. لا .. لا يمكن ..
فهو من النوع المرتبك الذى يفرق فى شبر ماء .. إن
(أشرف) صديقى يجيد هذه الأمور .. ولكن من
يتحمل مصاريف الشحن ؟ ..

عرفت أننا نتجه إلى مكتب المدير .. غريب هذا ..
دخلنا إلى المكتب فلم تكن هناك سكرتيرة - كانت
فى قاعة الإعدام مع الآخرين - لتجد الميجور
(بلاكلى) وجواره المدير ..

رأى (بلاكلى) النظرة على وجهى ، فنظر لساعته
وضحك وقد فهم :

- « يا لك من بئس ! نحن لن نؤذيك ! الصدفة
هى ما دعانا إلى استدعائك فى تمام العاشرة .. »
ثم أشار إلى ساقه التى اتسخت أربطتها ، وقال :
- « أريد غياراً جديداً ، وأريد جرعة من المصل
مع مضاد حيوى .. يجب أن تعيد لى القدرة على
التفكير الصافى حالاً .. »

ثم أوماً إلى الزنجى ، ولوح بمسدسه :
- « يمكنك الانصراف يا (ماكجراث) .. غداً
للقاعة واختر ضحية أخرى .. احرص على أن تكون
أمريكية أو أوروبية على سبيل التنويع .. ولا تخش
شيئاً فأنا مسلح كما ترى .. »

صدع الزنجى بالأوامر وانصرف ..
قلت وأنا أنهض :

- « لا بد من أن أحضر أدوات الغيار من قسم
الجراحة .. »

بدا على الميجور بعض التردد ، ثم هز رأسه
موافقاً :

- « لا تحاول العبث .. فليس كل رجالى فى
القاعة .. »

- « لا أحلم بهذا .. »

وغادرت المكتب .. وقعت عيناي على مكتب
السكرتيرة الخاوى ، وعليه ملفات وأجندة مواعيدها ،
وجهاز الكاسيت الصغير جداً الذى تسمع به أغاتى
(شارل أرنافور) خلصة .. وشعرت بغصة فى حلقى ..
واتجهت إلى قسم الجراحة ، حيث انتقيت بعض
أدوات الغيار ووضعتها على منضدة ذات عجلات ..
لم يكن هناك أطباء ولا ممرضات .. كلهم فى قاعة
المحاضرات الرهيبة ..

الإيذاء .. الإيذاء .. لا بد من إيذاء هؤلاء الأوغاد
ولكن كيف ؟ هم يملكون القنابل والبنادق ، وأنا طبيب
لا أملك سوى الضمادات والمحاقن و رباه !
يا لى من أحقق !

★ ★ ★

الأربعاء ١٩ أكتوبر
الساعة ٤٥, ١٠ مساءً

عدت إلى غرفة المدير ، ورفعت ساق الميجور إلى
مقعد جلدي هناك ، وكان ممسكاً بجهاز الـ (ووكى
توكى) يتحدث إلى رجاله :

- « هل فرغتم ؟ لم أسمع طلقات .. ماذا ؟ بكاتم
الصوت ؟ لا يا حمقى .. نحن نريد إحداث جلبة وإثارة
ذعر .. لسنا بصدد عملية (كوماتدوز) سرية ..
وهل ألقيتم بالجثة ؟ حسن .. من هي ؟ »

وساد صمت ثقيل بينما هو يصغى ، ثم عاد يتكلم .

- « كندية ؟ طبيبة كندية ؟ حسن ! »

هنا تصلبت واسودت الغرفة أمامي ، وتبادلت نظرة
قلقة مع البروفسور (بارتلييه) ، وفي بضع ثقلصت
يدى على المقص الذى أزلت به الضمادات .. وقد
أدركت أن ما سأفعله محدد جداً ..

هنا عاد صوت الميجور :

- « هل قاوم ؟ لا ؟ ليكن .. فى تمام الحادية عشرة انتخبوا ضحية تالية ما دام الأوغاد بالخارج صامتين كالأسماك (روجر) .. »

من جديد عادت الدماء تجرى فى عروقى ..
لقد نسيت أن اللغة الإنجليزية لا تؤنث الصفات ،
وقد تعنى لفظه (Canadian Physician) طبيباً كندياً أو
طبيبة كندية ، فلم أعرف الحقيقة إلا حين قال (Did
he put up a fight ?) .. لقد تكفل خيالى القلق بترجمة
ما قاله إلى الصفة المؤنثة ..

شرعت فى عملية التضميد كالعادة ، وكانت حالة
الجرح تزداد سوءاً بالتأكيد .. قلت له فى ضيق :
- « لا جدوى من المزيد .. لا بد من البتر حالاً ! »
صاح فى عصبية - وهى من المرات النادرة التى
فقد أعصابه فيها .. وهو يضرب المكتب .. « :
- « افعل كما قلت لك ! هذا أمر .. فننفذه ! »
شعرت بسرور شديد .. لكنى لم أظهر هذا على
وجهى ، ورحت أمارس مهمتى المقيتة .. وبعد دقائق
سألته :

- « هل تعرف من أين جئت بهذه الأدوات ؟ »

- « يا له من سؤال ! من قسم الجراحة طبعًا !
ماذا تحاول إثباته ؟ »

أزداد سرورى ، وفى أدب سألته :
- « سيّدى .. هل لو لم يستجب أحد لمطالبكم
ستقتلوننا جميعًا ؟ »

- « الجميع .. الجميع بلا استثناء ! »
كان يزداد عصبية فى كل ثانية ..
ملأت المحقن وشمّرت ذراعه ، وأولجت الإبرة فى
الوريد .. وضغطت المكبس .. قال لى وهو ينظر
للجدار :

- « أنا أثق فيك يا دكتور .. لهذا لم أطلب رأى
واحد آخر .. »

- « هذه ثقة غالية .. »

وأفرغت المحقن كله ، ثم انتزعت الإبرة فى الوقت
المناسب لألمح وجهه الذى تصلّب ، وعينيه اللتين
زاغتا تمامًا ففقدتا بريق الحياة ..

هتف المدير فى هلع وهو يجفف العرق المحتشد
على جبينه :

- « ويحك ! لقد مات ! »



وأفرغت المحقن كله ، ثم انتزعت الإبرة فى الوقت المناسب ؛ لآلمح
وجهه الذى تصلب ، وعينيه اثنتين زاغتا تماماً ففقدتا بريق الحياة ..

تأملت الجسد الهامد ، وغمغمت وأنها أنهض :
- « طبعاً يا سيدى .. لا أحد يحتمل ثلاثة أمبولات
وريدية من (الأدرينالين) ! ولا أظن أن فسيولوجية
جسد هذا تختلف ! »

تقريباً كاد يلطم خديه البدنين ، وهو يردد :
- « لقد قتلت منقذنا وقتلتنا أيضاً ! »
- « بالعكس .. الرجل لم يترك لنا وسيلة أخرى ..
كان يلعب دور الشرير (الجنتلمان) حتى صار تصادم
المصالح محتوماً ، ولم يعد من سبيل سوى اختيار
حياتنا أم حياته .. ولكن دعنا لا نضيع الوقت فى هذا
الهراء ، فلدينا ما هو أهم .. »
وانترعت جهاز التسجيل الخاص بالسكربتيرة من
جيبى ، وأغلقت زر التسجيل ..

★ ★ ★

لم أستطع فهم أسلوب عمل جهاز (الووكى
توكى) ، لكن المدير أفهمنى أن أضغط على الزر
الأحمر لأتكلّم ، ثم أتركه لأسمع ..
ابتلعت ريقى وجلست إلى المكتب .. هذه عملية
تقتضى أكبر قدر من الدقة والتركيز .. لوحدث خطأ ما ..

وأعدت شريط التسجيل إلى بداية المحادثة منذ
دخلت الغرفة ، وكان (بلاكلى) يتحدث مع رجاله فى
(الووكى توكى) .. ثم ينهرنى فى أثناء الغيار ويجيب
عن أسئلتى الغريبة .. ثم ..

- « من قسم الجراحة طب »

وضغطت على الزرّ الأحمر عندما بدأت الجملة ، ثم
رفعته قرب نهايتها ، وبسرعة أعدت الشريط للوراء
كى أذيع الجملة التالية :

- « الجميع ! الجميع بلا استثناء ! »

ومن جديد قطعت الاتصال .. لحسن الحظ
أن الرسائل الصوتية فى جهاز الـ (ووكى
توكى) تكون دائماً متقطعة مشوشة بهذا
الأسلوب .. وأعدت الشريط للوراء لتكون الجملة
التالية :

- « افعل كما قلت لك ! هذا أمر فنفذه ! »

ورفعت إصبعى وأدبرت الشريط للوراء ..
لتكون الجملة النهائية التى تختتم مكالمات اللاسلكى
دائماً :

- « روجر .. » (*)

كان المدير ينظر لى كأكبر أحمق رآه فى حياته ،
وفى خمول سألنى :

- « ماذا تحاول عمله بالضبط ؟ »

- « أقوم بعملية (مونتاج) على الهواء مباشرة ،
والآن أمل أن يصدقوا هذه الرسالة ، وألا يجيئوا إلى
هنا للتحقق .. »

(*) لمسبب مجهول يستعملون لفظة (Roger) فى نهاية
المحادثات اللاسلكية ، لمجرد الدلالة على حرف (R) فى لفظة
(Received) ، أى أن الرسالة استقبلت وفهمت . ولا يمكن فهم لماذا
لا يستعملون لفظة (Received) نفسها من البداية !

★ ★ ★

الأربعاء ١٩ أكتوبر

الساعة ١٥، ١١ مساءً

ومع المدير تسلمت عبر الردهة التى تقود إلى قسم الجراحة ..

واستطعنا أن نرى عددًا لا بأس به من هؤلاء القوم يحتشدون على الباب ، كلهم مسلح وكلهم يتبادلون النظرات والتساؤلات ..

وسمعت من يقول :

- « غريب أن يريدنا فى هذه اللحظة بالذات .. »

- « من الواضح أنه مصرّ كذلك .. »

تبادلوا الآراء ، ثم تقدّم أحدهم ليدخل من الباب - يسمونه جناحى الوطواط - الذى ينفّتح إذ تدفع جسدك عبره ، وينغلق وراءك .. وفى صمت تبعه الآخرون .. ترى هل اكتمل عددهم ؟

إن هناك ممرًا صغيرًا طوله أربعة أمتار يقود من الباب إلى الممر الطويل الذى يشكل قسم الجراحة ..

وكان ما حرصت على عمله حين كنت هنا وحدي ،
هو أن كومت بعض أسطوانات الأوكسجين على جانبي
هذا الممر ، وفتحت صمامات بعضها ..

ثم إنني هشمت عددًا من زجاجات الإثير ، ليفعم
الغاز كريبه الرائحة جو المكان .. غاز الإثير يُستخدم
أحيانًا للتخدير ، لكنه كذلك من المتفجرات شديدة
الوطء ، ولا يحسن أن تضايقه أبدًا ..

الآن أرى بوضوح الثلث العلوي لأسطوانة
الأوكسجين التي حرصت على وضعها خلف الباب ،
بحيث تظل بارزة فوق مستواه العلوي ..
لن أخطأها أبدًا ..

ربما كنت حمارًا في التصويب .. لكني لن أخطأها
أبدًا ..

بالتأكيد سترتطم ظلفتي بشيء ما ..

★ ★ ★

ورفعت مسدس (بلاكلى) وكتمت أنفاسي ..
وضغطت الزناد ..

★ ★ ★

كان الانفجار مريعاً ، وارتجت بناية (سافارى)
التي لم تعتد هذا الصخب قط ..
لا بد أن أكثر الرجال لم يكن قد اجتاز الممر بعد ،
حين وقع الانفجار المريع .. أسطوانات أوكسجين
وغاز إثير وذخائر .. يا له من مهرجان للنيران !
لقد كفت (سافارى) منذ زمن عن استعمال
أسطوانات الأوكسجين ، مكتفية بالأوكسجين المركزى
الذى يجيء عبر أنابيب جدارية ، لكن تلك الأسطوانات
الخمسة ظلت هنا على سبيل الاحتياط ، ولم يكن هذا
قراراً غيبياً ..

مرتجفاً هتف المدير :

- « والمرضى ؟ المرضى و (بسمام) ؟ ماذا عنهم؟ »
- « كلهم بعيد عن هذا الصخب بالداخل يا سيدى ..
فلا تخش شيئاً .. إن أعتى كوابيسنا يوشك على
الانتهاء .. »



الخميس ٢٠ أكتوبر

الساعة ١٠,٠٠ صباحًا

طلبت منا قوات مكافحة الإرهاب ألا نغادر القاعة ،
بينما راح رجالها يمشطون بناية (سافارى) .. كان
هناك عدد لا يقل عن عشرة من المرتزقة مازالوا
أحياء غير مصابين ، وقد كانوا مع الرهائن حين
سمعوا الانفجار ، من ثم تركوهم ومروا من غير نظام
ليحتموا فى مكان ما ..

أما الانفجار ، فقد أسفر عن ثمانية قتلى وعشرة
جرحى كما يقولون فى النشرات الإخبارية ..
جلست جوار (برنات) أصغى لصوت الطلقات
بالخارج .. سألتنى وهى تتنأى بعد يوم طويل
عصيب :

- « ما زلت لا أفهم .. لماذا وثق بك الميجور
لتحقيقه ؟ »

- « كانت فى طريقته دائما مسحة ما من إهمال

الحذر .. ربما لفرط ثقته بنفسه ، وربما لأن هيبته
شخصيته تحدث نوعاً من التنويم المغناطيسى لدى من
يتعامل معهم .. كان واثقاً بنفسه أكثر من اللازم ،
ولو لم أستغل الفرصة لكنت أحمق .. »
- « قتل رجلأ أولاك ثقته ؟ »

- « لم يعد مجال لهذه الأخلاق الفروسية بعد
ما قام به من مذابح .. سلى ضحيته (أرداش)
أو الطبيب الكندى هذا السؤال .. لقد قتل (بلاكلى)
ضحيتين بريئتين معدومتى الحيلة ، فصار من العدل
أن أقتله أنا .. ولو عاش لما كنا هنا .. »
وساد الصمت هنيهة ، إلا من غطيط الأطباء
الجالسين حولنا ..

الحقيقة هى أننى فى (سافارى) قتل عدداً أكثر
من اللازم من الأشخاص .. بدءاً بقراصنة الحرب
الفيروسية ، ومروراً بـ (دوبون) الذى كان يجرى
تجاربه على المحتضرين ، وانتهاءً بـ (بلاكلى)
نفسه ..

ليغفر الله لى .. لكننى - أزعم - فى كل مرة لم
أكن أملك حلاً آخر ولا مخرجاً آخر ..

كلهم وضعوني في الموقف العتيـد : حياتنا
أو حياتك .. ولم يكن الاختيار مطروحاً أو وارداً ..
سألتني (برنات) بصوت ناعس ، وهي تعتدل في
جلستها :

- « هل نحن في أمان الآن ؟ »

- « حتماً .. إن أمر هؤلاء بالخارج قد انتهى
تماماً .. لن يقاوموا أكثر من ساعة أخرى ، خاصة
أنهم فقدوا رأسهم المفكر المتزن ثاقب البصيرة .. لقد
شعرت في لحظة ما بميل نحو (بلاكلي) ، لكنه
- كما قلت - قد اختار المعسكر الخطأ .. لقد ولد
خاسراً وأحسبه كان يتوقع دوماً نهاية كهذه .. »
ثم وجدت أنني أكلم نفسي لأنها قد نامت بالفعل ..
نامت وهوى رأسها على كتفي ..
نامت و ماذا كنت أريد قوله ؟
لقد نمت أنا بدوري !

★ ★ ★

وفي الخارج كان رجال الجيش يحصون القتلى
والجرحى ، وفي كل مرة كان العدد ثابتاً : ستة
وعشرون رجلاً ..

- « هؤلاء هم الفصيحة بأكملها يا سيدى .. »
- « يصر الأطباء على أن العدد ثلاثون .. أعيدوا
البحث جيداً .. »
ويعاودون البحث جيداً ، لكن لا أثر للأربعة
المرتزقة الذين يكتمل بهم النصاب .. أين ذهبوا وماذا
ينتوون عمله ؟ »
حقاً من العسير أن نعرف هذا فى (سافارى) .

د. علاء عبد العظيم
أنجاوانديرى

www.dvd4arab.com
Hany3H
رقم الإصدار : ٢٤٨٧
الرقم الدولى : ٢٠٨ - ٢٦٦ - ٤٨٧
www.dvd4arab.com

المطبعة العربية الحديثة

١٠٠٨ شارع ١٧ المنظة الصناعية بالعباسية

القاهرة - ٢ - ٢٨٢٣٧٩٢ - ٢٨٢٣٥٥١

سافارى

مغامرات طيب شاب يجاهد
تكني يظل حيا ولكن يظل طيب

روايات
مصرية
الحبيب

الفصيلة

المؤلف



د. أحمد خالد توفيق

فى الأونة الأخيرة تزايدت حالات
مرضيه من نوع فريد فى (سافارى) ..
المريض الأوروبى قوى البنية الذى لا يشك
من أى داء ... لن تلاحظ شيئاً لو كان
الأمر يتعلق بمريضين .. ربما تفدهش لو
رأيت عشرة مرضى .. لكنك - حقاً -
سترتجف هلعاً حين ترى ثلاثين مريضاً ،
كلهم بلا مرض معين !..



العدد القادم

العدد القادم

الناشر
Hany3H

الطبع فى مصر
والمطبع فى مصر
من ادبها والعالم

www.dvd4arab.com